وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الحمدانية
كلية التربية للعلوم الانسانية
قسم التاريخ

محاضرات في تاريخ العراق الحديث

١٢٥٨-١٩١٨م

المرحلة الثالثة

اعداد

الدكتور محمد احمد خلف

٢٠٢٥م ١٤٤٦هـ

المقدمة

ان دراسة تاريخ العراق الحديث ليست من المسائل المهمة فحسب بل من الامور الضرورية من اجل ادراك الجذور التاريخية للعراق المعاصر ، فتاريخ العراق الحديث الذي يغطي مدة ليست بالقصيرة والتي استمرت لمدة ثمانية قرون ، وقد شهدت تطورات سياسية واجتماعية واقتصادية مهمة. كان سقوط الخلافة العباسية عام ١٢٥٨م قد فتح الباب امام تعرض العراق لاقوام غازية بدء من الغزو المغولي والتي كانت بطبيعتها قبائل رعوية مما اثر سلبا على تاريخ العراق لاسيما بغداد عاصمة الحضارة والثقافة العربية وغيرها من الحواضر العراقية ، وان هذه الاقوام الغازية لم تضف او تقدم اي شيء لحضارة العراق ، مما ادى الى انحسار الكثير من المقومات الحضارية وغلبت الحياة البدوية على طابع الحياة المدنية والتي ما زال يعاني العراق منها ، واندثرت كثير من المدن التي كانت مزدهرة في فترة من الفترات ، واصبح العراق ساحة للصراع واطماع الدويلات المحيطة به والتي تعاقبت على السيطرة عليه من مغول والايلخانيين والجلائريين ومن ثم الصراع ما بين دولتي الاق قوينلو والقرة اقوينلو ، والصراع الذي استمر لأربعة قرون ما بين الصفويين والعثمانيين ، ومما يميز تلك الصراعات والنزعات هي السيطرة على مقدرات العراق سواء اكانت اقتصادية ام بشرية والسيطرة ايضا على طرق التجارة التي كانت تمر عبر اراضيه ، فضلا تأثير الصراع السياسي والمذهبي ما بين الدولتين والتي كان لها تأثير مباشر على العراق وادى الى اهمال كافة الامور سواء الادارية او الاقتصادية او الاجتماعية ، فكان الفقر وسوء الاحوال هي الصفة البارزة على المدن العراقية ، على الرغم من بعض المحاولات الاصلاحية خصوصا في عهد السيطرة العثمانية الا انها لم تكن كافية لتغير تلك الاوضاع ، ومحاولة بعض الاسر المحلية اعلان استقلالها ذاتية وادارة شؤون الحكم بنفسها كما في اسرة ال افرسياب في البصرة او الاسرة الجليلية في الموصل او المماليك في بغداد ، لكن ذلك لم يكن من اهداف السيطرة العثمانية التي حاولت جاهدة في القضاء على تلك الاسر. لقد سمح ظهور الضعف لدى الدولة العثمانية للدول الاوربية التدخل في شؤونها ومحاولة ترسيخ نفوذها في الدولة العثمانية عامة وفي العراق خاصة من خلال حصولها على الامتيازات التي كانت قد منحتها لها الدولة العثمانية ، وبرزت اهمية العراق لدى الدول الاوربية لاسيما بريطانيا وفرنسا من خلال موقعه على رأس الخليج العربي ويشكل حلقة وصل مهمة بين الطرق التجارية من الهند الى اوروبا عبر اراضيه والى موانئ بلاد الشام ، فأخذ التنافس بين هذه الدول وفي متخلف المجالات من اجل الاستحواذ والسيطرة عليه وبشتى السبل والوسائل منها التنقيب عن الاثار والارساليات التبشير مع بدء الحرب العالمية الاولى عملت الدول الاوربية على جر الدولة العثمانية لدخول الحرب الى جانب المانيا وكانوا في الخفاء يعقدون الاتفاقيات لاقتسام ممتلكاتها ، ومن ثم قيام بريطانيا بتجهيز حملة عسكرية لاحتلال العراق ، ومع انتهاء الحرب كان العراق قد خضع كليا للاحتلال البريطاني ، ورغم

مساوئ السيطرة العثمانية على العراق الا انه شعب وسكان العراق وقفوا الى جانب العثمانيين و اعلنوا الجهاد ضد البريطانيين على الرغم من امكانياتهم البسيطة في التسليح وعدم مقدرة الجيش العثماني في الصمود والدفاع الحقيقي عن ارض العراق الا ان العراقيين تمكنوا من اعلان الثورة ضد المحتلين الجدد في النجف عام ١٩١٨م لتنتهي حقبة مهمة من تاريخ العراق الحديث وتبدء حقبة جديدة مليئة بالأحداث والتغيرات السياسية كان لها انعكاس على مجمل الوضع السياسي والاقتصادي والاجتماعي في العراق .

الاحتلال البريطاني للعراق ١٩١٤-١٩١٨م:

كان للعراق اهمية استراتيجية في الحسابات السياسية البريطانية مع بدايات القرن العشرين وخصوصا بعد اكتشاف النفط في عبادان ، واوضح المقيم البريطاني اللورد كيرزن تلك الاهمية في العام ١٩١١حينما صرح ((انه من الخطأ ان نفترض ان مصالحنا تنحصر في منطقة الخليج العربي بل يجب ان تمتد الى المنطقة الواقعة بين البصرة وبغداد ولتشمل ايضا المناطق في شمال بغداد)) لذلك بدأت الادارة البريطانية بوضع الخطط العسكرية لاحتلال جنوب العراق حتى قبل اندلاع الحرب العالمية الاولى عام ١٩١٤م ، من خلال الاعتماد على المسوحات الجغرافية للمنطقة التي كانت قد قامت بها بعثات التنقيب عن الاثار وتقارير القناصل التي كانت في معظمها استخباراتية كما تم ذكرها سابقا .

تم تشكيل لجنة رباعية من قبل حكومة الهند البريطانية لمناقشة الاجراءات الواجب اتخاذها لحماية مصالحها في جنوب العراق ، وقدمت اللجنة تقريرها في ١٢ كانون الثاني / يناير عام ١٩١٢م بانه يجب احتلال البصرة والفاو ، وعلى الرغم من عدم الاخذ بتوصيات اللجنة في حينها ، الا ان القناصل البريطانيين في البصرة وبغداد والموصل كانوا قد بدؤا بإعداد تقارير عن الجيش العثماني من حيث العدة والعدد فضلا عن تجهيز الخرائط اللازمة للقيام بالاعمال العسكرية .

مع ظهور البوادر الاولى لاندلاع الحرب العالمية الاولى عام ١٩١٤م كانت بريطانيا قد اتخذت بعض التدابير لحماية مصالحها على راس الخليج ، نتيجة لاسباب سياسية واقتصادية

الاسباب السياسية :

١- رغبة بريطانيا في حماية المؤسسات النفطية في المحمرة من تخريب العثمانيين لها في حال دخولهم الحرب الى جانب المانيا ضد بريطانيا وبذلك يحرم الاسطول البريطاني من اهم مصدر لامداده بالوقود .
٢- الخوف من قيام العثمانيين بالاعتداء على الرعايا البريطانيين المقيميين في البصرة وغلقها للقنصلية البريطانية والغائها للامتيازات التي كانت قد منحتها لبريطانيا .
٣- دعم شيخي الكويت والمحمرة وحمايتهما من العثمانيين من اجل وقوفهما مع البريطانيين .
٤- ارسال رسالة الى العثمانيين بأن بريطانيا مهتمة بشؤون العرب ومصالحهم فليس هناك حاجة للدعوة من قبل العثمانيين للقتال باسم الدين واعلان الجهاد ضد البريطانيين خاصة

اذا ما علمنا ان العرب كانوا مستائين من السياسة العثمانية خاصة في عهد جماعة الاتحاد والترقي .

الاسباب الاقتصادية :

١- رغبة بريطانيا في تحويل العراق سوقا للمنتجات البريطانية .

٢- تحويل العراق الى موقع استثمار لرؤوس الاموال البريطانية.

٣- استغلال الموارد الاولية في العراق وتصديرها الى بريطانية لدعم الصناعات البريطانية هناك

اندلعت الحرب العالمية الاولى في ١٨ تموز/ يوليو عام ١٩١٤م وكان العثمانيون يميلون للوقوف على الحياد حتى اخر لحظة ، لان السياسيين العثمانيون يدركون بحاجتهم الماسة للاموال والاسلحة لادارة الة الحرب ، وكان وقوفهم الى جانب المانيا وتحالفهم معها يجبرهم على الدخول في الحرب رغم خشيتهم لخسارتهم فيها ، كان الحلفاء قد اتبعوا سياسة التهديد تجاه العثمانيين وسياسة الترغيب بالوقوف الى جانبهم بالحرب ، لكن القادة الالمان كانوا قد اقنعوا العثمانيين انهم على استعداد تام لتقديم السلاح والمال للعثمانيين اذا ما وقفوا على الحياد او دخلوا الى جانبهم في الحرب وفي كلتا الحالتين كانت المانيا تريد تأمين حاجتها من المواد الاولية والغذائية من اراضي الدولة العثمانية .

اتهمت روسيا العثمانيين بقصف بوارجها في البحر الاسود يوم ٢٧ و ٢٩ تشرين الاول عام ١٩١٤م ، فاعلنت روسيا الحرب على الدولة العثمانية يوم ٢ تشرين الثاني / نوفمبر عام ١٩١٤م ، تلتها فرنسا وبريطانيا باعلان الحرب على الدولة العثمانية في يوم ٥ تشرين الثاني / نوفمبر من نفس العام .

ارسلت قوة عسكرية عرفت باسم حملة (D) مؤلفة من اربعة افواج ثلاثة منها من الهنود وواحد من البريطانيين وكان عددها ٤٥٥٤ جندي و ١٢ ضابطا مزودين ب ١٢ مدفع ١٢٩٠ دبابة الى العراق ، وصلت هذه القوة الى مياه شط العرب في يوم ٣ تشرين الثاني / نوفمبر عام ١٩١٤م ، كان السير برسي كوكس قد اعلن ان حكومته قد اجبرت على دخول الحرب نظر للموقف المعادي لهم من قبل العثمانيين ، وانه ليس لهم عداء مع العرب شرط ان لا يحموا الجنود الاتراك او يحملوا السلاح ضد القوات البريطانية ، نزلت القوات البريطانية على جزيرة الفاو يوم ٦ تشرين الثاني / نوفمبر وتم رفع العلم البريطاني عليها ، بعد مقاومة طفيفة من قبل الجنود العثمانيين ، وبذلك تمكن البريطانيون من السيطرة على مدخل شط العرب ، ولم يصل نبأ احتلال البريطانيين لشبه جزيرة

الفاو الى حكومة البصرة المحلية الا في اليوم التالي ، وهنا بدأت الاستعدادات من قبل القوات العثمانية لمواجهة تقدم القوات البريطانية باتجاه البصرة ، الا ان هذا الاستعدادات كانت بسيطة وغير مدروسة او مخطط لها ، مما مكن القوات البريطانية من دحر القوات العثمانية في معارك السنية وسيحان وكوت الزين ، وتم فتح الطريق لاحتلال مدينة البصرة ، سيطرة القوات البريطانية على مدينة القرنة يوم ٢٢ تشرين الثاني / نوفمبر ودخلت القوات البريطانية البصرة ورفعت العلم البريطانية على البنايات الحكومية واستعرضت فيها بقواتها العسكرية ، ودعت الاهالي الى التعاون معها ووعدت بالحرية والعدالة وهذا هي سياسة كل محتل .

قامت القوات البريطانية بعد احتلالها لمدينة البصرة بإقامة معسكرات لقواتها والقيام بدوريات لحراسة قواتها ، وتفتيش القرى للبحث عن الاسلحة ومطاردة القوات العثمانية المنسحبة باتجاه القرنة والزبير، استعاد العثمانيون تنظيم قواتهم وحاولوا كسب تعاطف عامة الناس باعلان الجهاد المقدس ضد القوات الغازية وبلغ عدد المتطوعن ما بين ١٠ الى ١٥ الف مقاتل مع اسلحتهم وتوجه هؤلاء لمقاتلة الانكليز في منطقة الشعيبة في البصرة ، وبعد تجمع القوات العثمانية بقيادة سليمان بك وبدأت الهجوم على القوات البريطانية يوم ١٢ نيسان عام ١٩١٥م ، الا انه ونتيجة لقلة تنظيم القوات العثمانية حققت القوات البريطانية الانتصار على العثمانيين ، وبعد انتصار البريطانيين تقهقرت القوات العثمانية الى العمارة والناصرية ، الا البريطانيون تمكنوا من السيطرة على العمارة يوم ٢ حزيران / يونيو عام ١٩١٥م واحتلت قوة اخرى الناصرية في ٢٥ تموز / يوليو عام ١٩١٥ وبذلك اصبحت ولاية البصرة كاملة تحت الاحتلال البريطاني .

بعد هذه الانتصارات التي حققتها القوات البريطانية وجدت انه لابد من الزحف الى بغداد وبعث السير برسي كوكس قائد الحملة ، برقية الى الحاكم العام البريطاني في الهند يحثه على ضرورة الزحف والسيطرة على بغداد واستغلال تدهور المعنويات لدى الجيش العثماني، سارت الحملة البريطانية الى بغداد عبر نهر دجلة بقيادة الجنرال تاوند ، اتخذ العثمانيون مواقع دفاعية لحماية بغداد بعد تجميع قواتهم هناك ، وحدثت اول معركة مع البريطانيين في الكوت يوم ٢٧ ايلول / سبتمبر عام ١٩١٥م واستمرت لمدة عشرين وانتهت بانتصار البريطانيين وانسحاب العثمانيين الى المدائن من اجل تعزيز الخطوط الدفاعية ، ووصلت تعزيزات الى القوات العثمانية من الاناضول ووصول القائد الالماني فون دكولتز لتنظيم القوات العثمانية التي الحقت هزيمة بالقوات البريطانية يوم ٢٢ تشرين الثاني / نوفمبر في المدائن ، واستغلت القوات العثمانية هزيمة القوات البريطانية وتمكنت من محاصرة القوات البريطانية في الكوت يوم ٧ كانون الاول / ديسمبر عام ١٩١٥م

واستمر الحصار مدة خمسة اشهر عانوا خلالها البريطانيون من شدة فرض الحصار رغم محاولاتهم لفك الحصار عن قواتهم الا انهم فشلوا في ذلك ، وحاولوا ان يدفعوا للقائد العثماني خليل بك مليون ليرة الا انه رفض ذلك، واصر على استسلام القوات البريطانية دون قيد وشرط فاضطر البريطانيون الى الاستسلام يوم ٢٩ نيسان / ابريل عام ١٩١٦م وكان عدد القوات البريطانية التي استسلمت ما يقرب ١٣٥٠٠جندي عدا الضباط وتم ارسالهم جميعا الى الاستانة ، كانت خسارة البريطانيين في الكوت نهاية لمشروعهم في السيطرة على بغداد ، ومع ما كانت تعانيه القوات البريطانية في الكوت ، كانت هناك مفاوضات سرية بين الحلفاء خصوصا فرنسا وبريطانيا من اجل اقتسام ممتلكات الدولة العثمانية فتم تعيين السفير البريطاني مارك سايكس والفرنسي جورج بيكو وتم عقد معاهدة سايكس بيكو في ١٦ ايار / مايو عام ١٩١٦ م التي سميت المعاهدة باسمهما

عرف / معاهدة سايكس بيكو: وهي المعاهدة السرية التي عقدت بين كل من بريطانيا وفرنسا وبمشاركة كل من روسيا وايطاليا من اجل اقتسام ممتلكات الدولة العثمانية ، وبعد مفاوضات بين سفيري كل من بريطانيا مارك سايكس وفرنسا جورج بيكو تم التوقيع والمصادقة على المعاهدة في ١٦ ايار / مايو عام ١٩١٦م .

اهم بنودها :

١- تحصل روسيا على ولايات ارضروم وطرابزون ووان وارمينية التركية وعلى القسم الشمالي من كردستان وتبلغ مساحة هذه المنطقة ما يقرب ٦٠ الف ميل مربع والتي تحتوي على ثروات غنية .

٢- تحصل فرنسا على القطاع الساحلي الذي يشمل سوريا وولاية اطنة والمنطقة التي يحدها جنوبا من عينتاب وماردين الى الحدود الروسية وشمالا الى قلقيلية .

٣- تحصل بريطانيا على القسم الجنوبي من العراق ابتدا من بغداد وعلى ميناءي حيفا وعكا في فلسطين .

٤- يتألف في المنطقة الواقعة بين الممتلكات الفرنسية والبريطانية اتحاد لدول عربية صغيرة او دولة عربية واحدة ، وان تقسم هذه المنطقة من جديد منطقة فرنسية تضم الموصل ومنطقة سوريا الداخلية ، اما المنطقة البريطانية فتمتد ما بين فلسطين والحدود الايرانية

٥- تعلن الاسكندرية ميناء حر

٦- ان تكون فلسطين تحت الوصايا الدولية

رغم الانتصارات التي حققها العثمانيون في حصار الكوت ، والتي لم يستغلوها لطرد البريطانيين من جنوب العراق ، بل ارسلوا قواتهم لمهاجمة القوات الروسية في ايران مما اضعف موقفهم في العراق ، ليتمكن البريطانيين من استعادة تنظيم صفوفهم وتم تعين الجنرال ستانلي مود ليقوم بمهاجمة القوات العثمانية التي انسحبت من الكوت باتجاه المدائن ثم انسحبت باتجاه نهر ديالي ، لينسحبوا من بغداد التي دخلها البريطانيون يوم ١١ اذار / مارس عام ١٩١٧م ، وقد اصدر الجنرال مود تصريحه الشهير لاهالي بغداد ((اننا لم ندخل بلادكم فاتحين وانما دخلناها محررين))

واصل البريطانيون بعد احتلالهم بغداد بالتقدم شمالا فاحتلوا سامراء يوم ٢٢ نيسان / ابريل واحتلوا الرمادي يوم ٢٩ ايلول / سبتمبر ، واحتلوا تكريت يوم ٦ تشرين الثاني / نوفمبر ، وبقي الجيش البريطاني مرابطا عند الفتحة جنوب الشرقاط حتى اواخر تشرين الاول / اكتوبر عام ١٩١٨م وتقدم باتجاه الموصل واصبح على بعد ١٢ كم وتحديدا عند منطقة حمام العليل عندما تم عقد هدنة مودروس في ٣١ تشرين الاول / اكتوبر عام ١٩١٨م ، وتم دخول البريطانيون الموصل بعد مفاوضات مع العثمانيين انتهت بجلائهم عن المدينة التي دخلها البريطانيون يوم ٨ تشرين الثاني / نوفمبر عام ١٩١٨م ، ولما كانت الموصل وفقا لاتفاقية سايكس بيكو من حصة فرنسا التي اعترضت على الاحتلال البريطاني لها الانه تم تسوية الامر بان تأخذ حصة من النفط مقابل الموصل وهكذا انتهت الاعمال العسكرية التي استمرت لمدة اربع سنوات باحتلال بريطانيا للعراق وخضع العراق للادارة البريطانية بموجب نظام الانتداب الذي اقرته اتفاقية سايكس بيكو لتبدأ مرحلة جديد من تاريخ العراق المعاصر .

موقف رجال الدين والعشائر العراقية من الاحتلال البريطاني

كانت العشائر العراقية وعلى طول مراحل التاريخ الحديث التي مرت بنا تتصدى للغزو والاحتلال الاجنبي بدأ من الغزو والاحتلال المغولي وانتهاء بالاحتلال البريطاني ومما لا شك فيه ان طابعها العربي والنخوة العربية كان الدافع الرئيس في تحريك روح المقاومة والدفاع عن اراضيها .

بدأت مقاومة العشائر العراقية للقوات البريطانية منذ بدأ حملتها على العراق ، وعندما وصلت اخبار نزولها في الفاو الى مدن العراق الجنوبية ، حاول العثمانيون استغلال ذلك بارسال برقية الى علماء الدين في النجف يطلبون منهم اعلان الجهاد ضد الكفار، وارسلوا وفدا من بغداد الى النجف ضم بعض الشخصيات على راسهم القائد العسكري محمد فاضل الداغستاني الذي تولى قيادة الجيش العشائري في العراق وكان في استقبالهم عدد من رجال الدين والشيوخ، وارسل

المجتمعون رسائل موقعة من رجال الدين الى باقي شيوخ العشائر يطلبون منهم اعلان الجهاد والنفير العام لمواجهة المحتل فوصلت الى النجف جموع من المجاهدين يمثلون عشائر مختلفة يراسها بعض سادة وشيوخ عشائر الفرات الاوسط منهم السيد محسن ابو طبيخ من سادة الشامية ، فضلا عن عدد من المقاتلين الاكراد على راسهم الشيخ كاكا احمد فضلا عن مقاتلين من عشائر الجاف والهماوند وطالبان والبرزنجية وغيرها من العشائر الكردية التي لبت دعوى الجهاد ، كان انسحاب القوات العثمانية امام القوات البريطانية في اثناء تقدمها نحو البصرة حال دون اشراك المتطوعين من العشائر في التصدي للقوات البريطانية ، على الرغم من ان زعماء العشائر عقدوا اجتماع مع القيادة العثمانية قبل وصل القوات البريطانية الى البصرة وفوجئوا بقرار العثمانيين بالانسحاب وان تكون المواجهة في منطقة الشعيبة واعترض الشيخ سالم الخيون شيخ بني اسد على هذا القرار واقترح ان تكون المواجهة في شط العرب باغراق سفينتين وقطع خطوط الامداد ومن ثم محاصر القوات البريطانية والهجوم عليها من قبل العشائر والقوات العثمانية ، لكن القائد العثماني سليمان عسكري كانت عنده اوامر بالانسحاب من مدينة البصرة .

وفي مدينة الشعيبة اتفقت العشائر مع القوات العثمانية على مهاجمة البريطانيين من ثلاثة محاور وبالفعل بدأ الهجوم على البريطانيين في ١٢ نيسان ١٩١٥م واستمرت المناوشات بين الطرفين لمدة ثلاثة ايام ، اسفر تلك المواجهات عن انتصار القوات البريطانية بعد انسحاب القائد العثماني علي بيك ، وكان انسحاب العثمانيين من ارض المعركة مخيب للامال بالنسبة للعشائر العراقية التي انعدمت ثقتها في القوات العثمانية

كان للعشائر العراقية دور في محاصرة وهزيمة القوات البريطانية في الكوت عام ١٩١٥م كما ذكرنا سابقا ، وحاولت القوات البريطانية الوصل الى نهر الغراف وعند موضع بين الناصرية والشطرة يقال له باهيزة صادف مرور ابناء عشيرة خفاجة اثناء تشيع احد الشيوخ وهم يطلقون الرصاص في الهواء كعادة العشائر العراقية في مثل هذه المناسبات ، وعندما طلب منهم القائد البريطاني القاء اسلحتهم رفضوا وحصلت مواجهة في مواجهة البريطانيين .

واجه البريطانيون اول ثورة مسلحة بعد احتلالهم العراق عرفت باسم ثورة النجف عام ١٩١٨م ، اذ كان البريطانيون بعد احتلالهم بغداد قد تركوا النجف على حالها نظرا لمركزها الديني وطبيعة ابناء عشائرها الذين يرفضون الخضوع الاي محتل اجنبي لذلك لم تدخل القوات البريطانية النجف ، لذلك مارس النجفيون شبه حكم ذاتي وبرزت بينهم زعامات محلية مما اثار حفيظة اهل النجف ورجال الدين ، اذ اختار البريطانيون احد الزعمات حميد خان وهو من اصول هندية ليكون معاونا

للحاكم العسكري البريطاني في النجف ، وكان الاجدر بالانكليز اختيار احد الشخصيات من اهل النجف بدلا من اختيار الغرباء لهذا المنصب ، زاد التوتر بعد وصول مجموعة من العشائر من بادية الشام وهم من المؤيدين للبريطانيين يحملون رسالة من القائد البريطاني لجمان يطلب من حميد خان المساعد للحاكم العسكري بتقديم الخدمات لهم وكل ما يحتاجونه تزامن ذلك ايضا مع وصول عشائر اخرى ايضا ادى الى ارتفاع اسعار المواد الغذائية ، وحدثت مظاهرة من قبل اهل النجف مع هذه العشائر مما ادى الى تقديم حميد خان الاستقالة من منصبه ، حاول البريطانيون تغير سياستهم بتعين الكابتن بلفور حاكما عاما على النجف والذي اساء استخدام سلطاته هناك مما ادى تزايد الاضطرابات وتم تأسيس جمعية النهضة الاسلامية التي كان من اهدافها الكفاح المسلح ضد البريطانيين والحصول على الحرية والاستقلال للشعب العراقي ،وكان من ابرز اعضائها السيد محمد بحر العلوم والشيخ محمد جواد الجزائري وعدد من الشخصيات النجفي ، وكانت اول اعمال الجمعية هي اغتيال الكابتن مارشال ، وحاول الثوار اغتيال بلفور بعد ان دخل المدينة على راس قوة عسكرية كبيرة لبسط الامن فيها ، اتسعت الثورة في النجف وبادر البريطانيون الى محاصرة النجف من اجل انهاء الثورة ، وتمكن الثوار من القضاء على كتيبة بريطانية يوم ٢١ اذار / مارس عام ١٩١٨ م مما اضطر بلفور الى لقاء زعماء من النجف وقدم لهم المطالب التالية :

١- تسليم قتلة الكابتن مارشال ومن اشترك معهم

٢- دفع غرامة قدرها الف بندقية

٣- دفع غرامة مالية مقدارها ٥٠ الف روبية يجمعها رؤساء المحلات التي اندلعت فيها الثورة

٤- تسليم مئة شخص من المحلات التي اعلنت فيها الثورة ليتم ابعادهم عن النجف بصفة اسرى حرب

ابلغ بلفور المطاليب لوجهاء المدينة واذا لم تنفذ ستبقى المدينة تحت الحصار الشديد وقطع الماء والطعام عنها ، رفض وجهاء النجف المطالب وقد اخذوا في الاستعداد لمواجهة القوات البريطانية التي وصلت اليها تعزيزات من الكوفة بقيادة الجنرال ساندرز ، وتم تطويق المدينة اربعين يوما ومن جميع الجهات عانى خلالها السكان معاناة شديدة بسبب نقص الغذاء وانقطاع الماء مما اضطرهم الى شرب مياه المالحة من الابار واكل لحوم الحمير ، الا ان ذلك لم يثني عزيمتهم، لذلك قرر البريطانيون مهاجمة المدينة في ٧ نيسان عام ١٩١٨م وبعد قصف المدينة بشكل مكثف تمكن البريطانيون من دخول المدينة والقضاء على الثورة بعد ان تم اعدام احد عشر رجلا ونفي ١٢٣

اخرين الى الهند بصفة اسرى حرب وبذلك انتهت ثورة النجف وبسط البريطانيون سيطرتهم على جميع الاراضي العراقية لتنتهي مرحلة اخرى من مراحل تاريخ العراق الحديث.

الاحتلال الصفوي في للعراق ١٥٠٨- ١٥١٤

تعد فترة الاحتلال الصفوي للعر اق من الفترات التاريخية المهمة التي مرت على العراق لما فيها من احداث وشهدت هذه الفترة تنافس قوي على احتلال العراق ما بين الدولة الصفوية من جهة والدولة العثمانية من جهة اخرى لذا يجب الوقوف ودراسة هذه الحقبة التاريخية المهمة .

قيام الدولة الصفوية :

عرفت الدولة الصفوية بهذا الاسم نسبة الى الشيخ صفي الدين اسحاق الاردبلي (١٢٥٣-١٣٣٤م) الذي ينتمي الى اسرة ثرية معروفة في مدينة اردبيل الواقعة في الجزء الشرقي من اذربيجان ، وقد ذاعت شهرته بعد تأسيسه لطريقة صوفية سميت على اسمه بالطريقة (الصفوية) ووصف بأنه ولي من اولياء الله ، ان هذه الطريقة هي واحدة من عدة طرق صوفية كانت قد ظهرت في انحاء المشرق الاسلامي ابان عهود الاضطراب والقلق السياسي ، تتلمذ الشيخ صفي الدين على يد عدد من المشايخ ورجال الدين مما اكسبه شهرة واسعة ، وكان ابرز من اتصل بهم هو الشيخ تاج الدين ابراهيم الجيلاني الذي زوجه ابنته ، وعندما توفى الشيخ الجيلاني كان اوصى بأن يكون الشيخ صفي الدين محله في رئاسة الطريقة ، ان رئاسة للشيخ صفي الدين للطريقة جعله يحظى بمكانة دينية كبيرة عند الايلخانين ، وقد مهد هذا ايضا ان يكون له اتباع ومريدين كان عددهم يزيد على خمسمائة الف بين مريد وشيخ للطريقة ، الامر الذي مكن الشيخ صفي الدين الى تحويلها من حركة صوفية محلية الى حركة دينية واسعة الانتشار في ايران .

بعد وفاة الشيخ صفي الدين عام ١٣٣٤م تولى المشيخة ابنه صدر الدين موسى حتى عام ١٣٩٢م وكانت هذه الفترة تتسم بعدم الاستقرار في ايران بسبب صراع الامراء الايلخان على السلطة كما ذكرنا سابقا ، مما مكن الشيخ صدر الدين من توسيع نشاط الطريقة وكسبه مزيد من المؤيدين الامر الذي جعله يتطلع الى تحويها الى حركة سياسية ، مما اثار حاكم المغول في اردبيل فنفاه الى تبريز ، لكن نتيجة لمكانة الشيخ الدينية في نفوس اتباعه اضطر الحاكم المغولي الى اعادته ، لكن اقامة الشيخ في اردبيل لم تدم طويلا لخشيته من محاولة الحاكم المغولي من قتله مما اضطره الى الذهاب الى جيلان والاقامة فيها الى ان عاد اردبيل بعد مقتل حاكمها المغولي على يد احد قادة المغول ايضا.

انتقلت المشيخة بعد وفاة صدر الدين الى ابنه خواجة علي الذي لقب بـ (سياه بوش) اي لابس السواد ، وبعد وفاة خواجة علي عام ١٤٢٧م في فلسطين وهو عائد من اداء فريضة الحج ، تولى ابنه ابراهيم المشيخة واستمر فيها لحين وفاته عام ١٤٤٧م ، وتولى ابنه جنيد المشيخة (١٤٤٧-١٤٦٠م)

س /تعد فترة جنيد من الفترات المهمة في تاريخ الحركة الصفوية ، ج / لان الحركة في عهده اتخذت طابعا سياسيا واضحا ، فقد كان جنيد يعبر علنا عن طموحه في ان يصبح ملكا (باد شاه) الى جانب كونه مرشدا روحيا للصفويين

ومن اجل ذلك نظم جنيد الحركة على اسس عسكرية وجعل اتباعه يظهرون مظاهر التقديس له الى حد العبادة ، هذا الامر اثار قلق جيهان شاه اخر حكام القره قوينلو في ايران ، لذا امر جنيد ان يفرق اتباعه ويرحل عن اردبيل ، وهدده بتدمير اردبيل ان لم يفعل ذلك ، مما اضطر جنيد الى ترك اردبيل والتنقل ما بين الاناضول وبلاد الشام ، الى ان دعاه حاكم الاق قوينلو السلطان اوزون حسن الى بلاطه وبقى في البلاط مدة ثلاث سنين وتزوج من خديجة بيكوم اخت السلطان اوزون ، وحاول استرداد اردبيل لكنه اخفق ، وتوجه لقتال الشراكسة لكنه قتل عام ١٤٦٠ ، على يد حاكم مقاطعة شيروان اثناء المرور بأراضيه وهو متوجه لقتال الشراكسة ، لتنتقل المشيخة الى ابنه حيدر الذي استمر في عهده التحالف مع الاق قوينلو ، وتعزز هذا التحالف بزواج حيدر من ابنة السلطان اوزون ، وفي عهده اتخذ الصفويون غطاء رأس مميز لهم يسمى (تاج حيدري) وهو عمامة حمراء ذات ١٢ لفة ترمز الى الائمة الاثني عشر ، ومن هنا ايضا جاءت التسمية بـ (القزل باش) وهي تسمية تركية معناها الرؤوس الحمراء دلالة على لبس العمامة الحمراء .

س / اخذ التحالف ما بين الصفويين والاق قوينلو يضعف تدريجيا

ج / ١- بعد ان تمكن الاق قوينلو من القضاء على دولة القرة قوينلو ، فلم يعد هناك حاجة لاستمرار هذا التحالف.

٢- الاق قوينلو بعد توليهم السلطة في ايران اصبحوا هدفا للأطماع العسكرية والسياسية للأسرة الصفوية التي كانت قد عادت الى اردبيل.

٣- فضلا عن ان الاق قوينلو ادركوا خطر الحركة ، لذا عملوا على محاصرتها والتضيق عليها بغية القضاء عليها .

بعد وفاة اوزون حسن وتولي السلطان يعقوب الحكم منع الناس من لبس العمائم الحمراء وتوعد من يلبسها بأشد العقاب ، الامر الذي اضطر حيدر الى مغادرة اردبيل والخروج للجهاد في سبيل الله الى بلاد الكرج ، وحاول ايضا غزو شيروان بحجة الثأر لمقتل ابيه كما ذكرنا سابقا، مما جعل السلطان يعقوب يقدم المساعدة لحاكم شيروان من اجل القضاء على حيدر واتباعه ، مما ساعد على انتصار حاكم شيروان على الصفويين ومقتل حيدر في المعركة عام ١٤٨٨م ، تكمن اهمية الشيخ حيدر في قيادة الحركة كونه اخرجها من طابعها الديني الى طابعها العسكري بعد ان نظم اتباعه تنظيما عسكريا جيدا .

بعد مقتل حيدر تولى المشيخة ابنه سلطان علي الذي تجمع حوله عدد كبير من اتباعه ، مما ادى الى قلق السلطان يعقوب فامر باعتقال السلطان علي واخويه ابراهيم واسماعيل وارسلهم الى سجن في شيراز في هذه الاثناء كان اسماعيل مؤسس الدولة الصفوية فيما بعد ، اصغر الاخوة سنا لا يتجاوز عمره سنتين وما لبث ان قام رستم بن مقصود بيك بإطلاق سراح سلطان علي واخوته ليستفيد من دعم الصفويين له ضد منافسه بايسنقر ابن السلطان يعقوب ، وبالفعل تمكن رستم من الانتصار على منافسه وقتله ، وقرب سلطان علي وسمح له بالعودة الى اردبيل ، لكن ما لبث ان بدأت مخاوفه من تنامي قوة الصفويين فقرر القضاء عليهم في تبريز واردبيل ، وعندما علم سلطان علي بخطة رستم هرب مع اخوته واتباعه من خوي الى اردبيل وامر اخوه اسماعيل بالتوجه مع سبعة من اتباعه الى اردبيل بعد اوصى بأن يكون خليفته لقيادة الحركة وبالفعل كانت مخاوف سلطان علي في محلها فقد فاجأته قوة من الاق قوينلو وتم قتله هو واخوته ، وتمكن اسماعيل من الوصول الى اردبيل بنجاح ، ومن هناك نقله اتباعه الى مدينة لاهيجان في مقاطعة كيلان للهرب من حملة التفتيش التي قان بها الاق قوينلو في اردبيل .

امضى اسماعيل ما يقرب من خمس سنوات في لاهيجان ، ومع انشغال امراء الاق قوينلو بالصراع على السلطة استغل اتباع اسماعيل ذلك بالذهاب اليه لدعمه ومساندته ، بينما بقى القسم الاخر في اردبيل للدعوة للصفويين ، مع ظهور بوادر انحلال دولة الاق قوينلو بسبب الصراع على السلطة كما ذكرنا سابقا ، قرر اتباع الحركة الصفوية التحرك ، وفي اقل من عام كان اسماعيل واتباعه قد انتقموا من حاكم شيروان ثم تحركوا صوب اذربيجان وهزموا قوات الاق قوينلو عام ١٥٠١م ، ودخل اسماعيل مدينة تبريز وتوج ملكا على ايران متخذا لقب شاه ، مع ان سلطته كانت لا تتعدى حدود اذربيجان ، وخلال السنوات اللاحقة تمكن الشاه اسمعيل من بسط سيطرته على كامل ايران ، والتوسع على حساب المناطق المجاورة ، واخذت قوته تزداد بعد انضم اليه تركمان الاناضول ، وتوزيعه الغنائم بسخاء على اتباعه ، وبعد ان اخضع مقاطعات مازندران وجرجان على بحر قزوين والحاق ديار بكر بدولته ، ولم يبقى للاق قوينلو الا بغداد وقد حاول السلطان مراد اخر حكام الاق قوينلو استرضاء الشاه اسماعيل وارسل وفد اليه ليعرض على الشاه دفع الجزية مقابل البقاء في الحكم لكن الشاه رفض ذلك وقتل الوفد ، وبعد ان بسط سيطرته على كامل ايران توجهت انظاره نحو العراق للسيطرة عليه .

احتلال بغداد :

تعود اسباب تطلع الشاه اسماعيل لاحتلال العراق الى ثلاثة عوامل :

١- العامل الديني : ان الاستحواذ على بغداد قلب العالم الاسلامي يعطي للشاه مكانة رفيعة لدى المسلمين تتناسب مع المكانة التي كان يطمح لها بأن يصبح زعيما روحيا لعامة المسلمين .

٢- العامل السياسي : ان سيطرة الشاه اسماعيل على معظم ايران وخشيته من تمدد الدولة العثمانية تجاه العراق مما يجعله في مواجهة مباشرة معها على حدود ايران ، فالسيطرة على العراق يعني ابعاد الخطر العثماني عن اراضيه .

٣- العامل الاقتصادي : ان خصب الاراضي الزراعية في العراق يمكن ان تسد حاجات السكان في ايران ، فضلا عن الشاه اراد السيطرة على الطريق التجاري المار بين ديار بكر والموصل والذي يمتد الى الخليج العربي عبر بغداد .

تقدم الشاه اسماعيل الى بغداد بجيش كبير ، وارسل في مقدمة الجيش فرقة من فرسان القزل باش ، وبالرغم من قيام حاكم بغداد بالاستعداد لمواجهة جيش الشاه اسماعيل ، لكنه وجد نفسه اضعف من ان يقوم بمواجهة قوات الشاه ، لا سيما بعد ان وصلت الانباء الى قواته عن القسوة والبطش التي ترتكبها قوات الشاه بالقوات التي تقف في طريقها وتقاومها ، لذا اسرع بالفرار الى حلب ومنها الى ديار بكر .

توجهت القوات الصفوية من كرمنشاه الى خانقين ومنها الى بغداد، وما ان علم قائد قوات القوينلو بكثرة وقوة جيش الشاه اسماعيل الصفوي حتى ترك المدينة ، فدخلتها القوات الصفوية من دون قتال عام ١٥٠٨م، وخطب للشاه على منابرها وسكت النقود بإسمه دلالة على ضمها الى ممتلكاته وكان اول عمل قام به الشاه اسماعيل هو زيارة العتبات المقدسة في النجف وكربلاء على الرغم من دخول الشاه بغداد سلميا الا انه قام بمذبحة كبيرة راح ضحيتها عدد كبير من السكان ، وتوجه بعد ذلك الى الحويزة التي كانت تحكمها الامارة المشعشية وتمكن من القضاء عليها عام ١٥٠٩م.

اوضاع العراق في عهد الاحتلال الصفوي:

ان الاحتلال الصفوي للعراق لم يدم طويلا ، ولم تترك الدولة الصفوية اي اثر مهم في تاريخ العراق السياسي والاقتصادي ، لأنها كانت في طور التأسيس ، فظلت جميع الانظمة والمناصب الادارية في العراق قائمة كما كانت ، وبقي النظام الزراعي يعاني ايضا من التدهور والخراب ، وما جاء به المحتلين الجدد هو تعين اتباعهم من القزل باش في المناصب الرئيسية ، واطلق الشاه اسماعيل لقب (خليفة الخلفاء) على الوالي الذي عينه حاكما على بغداد ، واستحدث ايضا منصب مساعد الوالي واسنده الى احد العراقيين ، كما سك الشاه عملة نقدية عليها اسمه ، وقام الشاه اسماعيل بإعادة تجديد مرقد الامام موسى الكاظم (ع) ، فقام بتوسيع الروضة الشريفة وامر ان تكون المآذن اربعا بعد كانت اثنتين ، وتبليط الاروقة بالرخام ، وشيد مسجد كبير في الجهة الشمالية .

الادارة العثمانية للعراق:

التقسيمات الادارية:

بادرت الدولة العثمانية بعد سيطرتها على بغداد عام ١٥٣٤م والحاق البصرة بها عام ١٥٤٦م الى وضع تقسيم اداري منظم للعراق لكونه احد اهم ولاياتها من ناحية ، ولأنها لم تجد تقسيم اداري واضحا له من ناحية اخرى، وقد راعت في ذلك الاوضاع الخاصة بالبلاد ، لاسيما فيما يتعلق بالعشائر العربية والكردية التي كانت تؤلف نسبة كبيرة من السكان ، وقد طبق العثمانيون على العراق نظام الايالات المعمول به في باقي انحاء الدولة العثمانية ،والايالة او الولاية :هي اكبر وحدة ادارية وتقسم الى وحدات ادارية اصغر تعرف بالسناجق ومفردها سنجق اي لواء وحاكمها يعرف بالسنجق بك اي امير اللواء وتقسم السناجق الى وحدات ادارية اصغر هي الاقضية التي تدار من قبل القاضي وتضم الاقضية النواحي التي تدار من قبل مدير الناحية والتي تضم عدد من القرى يكون مسؤول عليها شيخ العشيرة، وقسم العراق اول الامر الى اربع ولايات هي بغداد والموصل والبصرة وشهرزور (كركوك) ثم اضيفت اليها ولاية الاحساء.

من الصعوبة وضع حدود دقيقة للولايات العراقية ، وذلك لعدم الثبات في حدودها اذ كانت عرضة للتغيرات المستمرة من نقل سناجق من ولاية الى اخرى او زيادة عدد سناجق الولاية نفسها .

الولايات العراقية في العهد العثماني :

ولاية بغداد: تعد اهم واكبر ولايات العراق ، اذ كانت تشكل قاعدة مهمة للعمليات العسكرية العثمانية ضد ايران ، وباشا بغداد اعلى رتبة من باقي باشوات العراق ، وغالبا ما يعهد اليه الاشراف على باقي الولايات العراقية ، وفي ولاية بغداد ١٨ سنجق ، ويطلق على ولاية بغداد في نظام الادارة العثماني مصطلح (ساليانة) اي معناها سنوي ، اذ كانت وارداتها مع سناجقها ترسل الى خزينة الدولة بعد استقطاع مصاريف الولاة وبقية الموظفين ، تعطى جمع الايرادات بما يسمى بنظام الالتزام (وهو نظام تعهد الدولة بموجبه الى شخص من ذوي النفوذ والثراء بجباية الضرائب المقررة على منطقة معينة ولمدة زمنية محددة) وكان على الملتزم ان يدفع مبلغا من المال يعادل ضريبة سنة من الضرائب المقررة على المنطقة ، لذلك كان الملتزم لا يتقيد بالضرائب المقررة على الناس من الدولة وغالبا ما يجمع اكثر مما هو مفروض عليهم وبذلك يحقق ارباحا كثيرة مما يعني استغلال الفلاحين وغير الفلاحين وشكل عبء اثقل كاهلهم ، وفي القرى كان شيخ العشيرة يعمل كملتزم يجمع الضرائب ويدفعها الى الملتزم الحقيقي ويحقق هو ايضا اربحا من ذلك ، وظل قانون الالتزام قائما الى ان تم الغائه بعد صدور الاصلاحات العثمانية خط شريف كولخانة عام ١٨٣٩م الذي سنذكره لاحقا .

ولاية الموصل : وهي من اولى المناطق التي دخلت تحت السيطرة العثمانية منذ عام ١٥١٦م وقسمت الى عدة سناجق في عهد السلطان سليمان القانوني ، وطبق عليها في منتصف القرن السادس عشر نظام الاقطاع الحربي (وهو نظام يمنح بموجبه السلطان ارضا لأفراد من سلاح الخيالة يستقرون ويشرفون على زراعتها بمساعدة فلاحين بصفة مستأجرين) وتسمى هذه الاراضي بالأقطاعات (السباهية) وهم الفرسان الذين يملكون الاقطاعات الحربية ، ولا يتقاضون مرتبات من الحكومة بل يعتمدون على واردات اقطاعاتهم ، وكان هؤلاء الفرسان مستعدين للانضمام الى الجيش في حالة اعلان الحرب ومعهم عدد من الاتباع بأسلحتهم وخيولهم

وتقسم اراضي الاقطاعات الحربية الى :

١- التيمار : وهو اقطاع صغير يدر على صاحبه ايرادا يبلغ ثلاثة الاف اقجة (عملة فضية لا يزيد وزنها على ربع مثقال)
٢- زعامت : وهو اقطاع يمنحه السلطان الى الفارس الذي اظهر شجاعة في القتال ويدر على صاحبه دخلا يصل الى مئة الف اقجة.
٣- الخاص : وهو اقطاع يمنح للولاة الذين يكونون في الخدمة الحكومية ويكون كبير المساحة وواردات تصل الى اكثر من مائة الف اقجة

الى جانب هذه الاقطاعات الحربية كان هناك اقطاع خاص بالسلطان يطلق عليه (خواص همايون)

كان عدد سناجق الموصل ست سناجق ، ولم تكن حدود ولاية الموصل واضحة بسبب تمددها في كردستان شرقا والى تكريت جنوبا .

ولاية البصرة : صنفت من ولايات السالیانة وهناك خلاف تاريخي حول تقسيم البصرة الى سناجق ، فبعض المصادر تشير الى انها لم تقسم بسبب وضع تركيبتها العشائرية ، في حين هناك مصادر اشارت الى انها مؤلف من ثمانية سناجق ، كانت ضرائبها تجبى بالالتزام ايضا ، وكانت في اغلب الاحيان هي عبارة عن قلاع حربية لمواجهة خطر القبائل المحيطة بها فضلا عن مواجهة الخطر الايراني من جهة الشرق ، ويبدوا ان عدد سناجقها ارتفع في الربع الاخير من القرن السادس عشر الى عشرين سنجقا ، وكانت ولاية البصرة مستقلة بحد ذاتها الى ان الحقت بولاية بغداد عام ١٧٣٣م.

ولاية شهرزور (كركوك) : طبق فيها نظام الاقطاع وقسمت الى عشرين سنجقا خلال القرن السادس عشر ، وارتفعت الى ثلاثين سنجق خلال القرن السابع عشر ، وغالبية تلك

السناجق كانت قلاع تتحكم بالممرات المهمة بسبب طبيعة المنطقة العشائرية والتهديد الايراني المستمر لها .

ولاية الاحساء : استولى العثمانيون عل الاحساء عام ١٥٥٠م ولم تقسم الى سناجق بل ظلت وحدة ادارية واحدة ، والتي اصبحت من الايالات العراقية في عهد السلطان مراد الرابع (١٦٢٣- ١٦٤٠).

الجهاز الاداري :

استهدف العثمانيون من وراء تنظيم ولاياتهم عدم تركيز السلطات بيد مسؤول واحد تلافيا لظهور النزعات الانفصالية التي تراود ذلك المسؤول ، ولهذا كانت هيئة الادارة في كل ولاية تتالف من الوالي وموظفيه : الكتخدا ، المستلم ، رئيس الكتاب ، الخزندار ، الدفتردار ، واغا الانكشارية الذي يترأس قوات الدولة النظامية الموجودة في مركز الولاية وقلاعها المختلفة ، وكذلك القاضي والى جانب هذه التقسيمات في الجهاز الاداري كان هناك ايضا مجلس او ديوان استشاري يضم موظفي الولاية ووجهائها من السكان والمفتي ونقيب الاشراف .

اهم المناصب في الجهاز الاداري :

الوالي : وهو رأس الجهاز الاداري للولاية وارفع منصب واهمه فهو ممثل السلطان ، وسلطاته غير محدودة ، يتم تعيينه او تجديد ولايته سنويا بفرمان او مرسوم سلطاني ويطلق عليه وزير او باشا.

الكتخدا او الكهية : هو مساعد الوالي ومعاونه في الشؤون الادارية والاقتصادية والمالية والعسكرية ، وهو في السلم الاخيرللوصول الى مرتبة الوالي ، اذ الغي عام ١٨٧٢ واعيد عام ١٨٨٠ ، وحدد واجباته بعمل المراسلات التي ترد الى الوالي من دوائر الولاية وغيرها ويقدم خلاصة فيها .

المستلم : هو نائب الوالي وشبه والي مؤقت يستلم ادارة الولاية عند غياب الوالي لاي سبب كان ويتم اختياره من قبل الوالي ، ويتم ايضا استلامه الامور عادة عند عزل الوالي ولحين وصول الوالي الجديد .

رئيس الكتاب : يرأس ديوان الانشاء وامين سر الوالي للشؤون الكتابية ويتبع الوالي ، ويضم ديوان الانشاء الكتاب والمترجمين، ويتم تحرير كتب الوالي ورسائله باللغات المتداولة ، وتسجيل اوامر الحكومة والمراسلات واعداد السالنامات.

الخزندار : وهو الموكل بخزانة الوالي وضبطها اداريا وضبط مصروفاتها، كما يسجل الفرمانات الواردة ومقدار الضرائب الواردة والمفروضة على القرى .

الدفتردار : وهو المسؤول عن الادارة المالية في الولاية وعصب النظام المالي القائم على الالتزام ووظيفته منفصلة عن الوالي ويعين مباشرة من الباب العالي بفرمان سلطاني ، ومكانه في دائرة خاصة تعرف بالدفتر خانة مستقلة عن سراي الوالي ، واجبه ضبط الحسابات في الولاية .

مجالس الادارة : يضم اعضاء طبيعيين واعضاء منتخبين الاعضاء الطبيعيين لادارة الولاية وهم القاضي ومدير المالية ومدير مراسلات الولاية والمفتي ونقيب الاشراف واحيانا معاون الوالي وعددهم المنتخبين من ٤-٦ اعضاء ، على ان لا يكونوا اقارب للاعضاء الطبيعيين ويجتمع المجلس اربع مرات سنويا برئاسة رئيس الوحدة الادارية ، وعمل المجلس اجراء المبيعات والمقاولات الحكومية وتدقيق الواردات والمصروفات ، والنظر في الضرائب والخدمات العامة والنظر في الشكاوي المقدمة ضد الموظفين .

السلطات القضائية : اهتمت الدولة العثمانية بالقضاء ووضعت نظاما دقيقا لتعيين القضاة ومتابعة اعمالهم ، اذ كان للقضاء نفوذا اكثر من النفوذ السياسي او العسكري في الولاية، وكان للقاضي حق النظر في مختلف الدعاوي سواء كانت مدنية او جنائية ، وكان القضاء يستمد احكامه من الشريعة الاسلامية ، والقانون نامة (ملخصات الفرامين والاوامر السلطانية التي تتعلق كل منها بحادثة او قضية معينة) وهي مجرد تذييل للشريعة الاسلامية وليست بديلا عنها، وكذلك العرف الذي كانت ترجع اليه الدولة في اصدار احكام خاصة ومعينة بحوادث .

المفتي: كان منصبه مهما الى جانب القاضي ومهمته اصدار راي قانوني في بعض المسائل ويسجلها على ورقة مختومة تسمى فتوى.

رابعا : الاسرة البابانية:

كان في شمال العراق خلال حكم المماليك عدد من الاسرة الكردية المتنافسة فيما بينها ، كالاسرة البابانية في السليمانية والصورانيين في راوندوز وال بهدينان في العمادية فضلا عن عشائر كردية مثل عشيرة الجاف والهماوند وبلباس وغيرها من العشائر الكردية.

اصل البابانيون من لاهيجان ونشأت امارتهم الاولى في اواخر القرن الخامس عشر في شرقي امارة سوران ، فاستولت على منطقة لارجان ، واستمالوا بعض العشائر الكردية الى جانبهم من اجل تقوية نفوذهم وتوسعهم جنوبا حتى وصل نفوذهم الى كركوك ، من ابرز زعمائهم بير بوداق ، وبعد وفاته عام ١٥٠٠ تولى زعامة الاسرة ابن اخيه بوداق بن رستم الذي حكم عامين ، وبوفاته تراجع دور الاسرة البابانية الاولى .

علاقة الاسرة البابانية بالدولة العثمانية:

بدأت الاسرة البابانية بالظهور مرة ثانية على المسرح السياسي مع مطلع القرن الثامن عشر واصبحت من اقوى الاسر الكردية ، وتأسست على يد رجل يدعى فقي احمد من قضاء بشدر ، وترسخ نفوذه نتيجة اعتراف السلطات العثمانية بسلطته على ما امتلكه من الاراضي نتيجة لاشتراكه في بعض المعارك مع العثمانيين ، اخذت الاسرة البابانية تتوسع في عهد فقي احمد وابنه خان بوداق اذ تمكن من الاستيلاء على عدة مناطق ، فضلا عن انضمام بعض العشائر الكردية اليه مثل عشيرة بلباس ، وبعد خان بوداق تولى زعامة الاسرة ابنه بابا سليمان عام ١٦٦٥ الذي يعد المؤسس الحقيقي للاسرة البابانية في منطقة بشدر ، واصبحت الاسرة ذات طابع سياسي بعيد عن الطابع القبلي والعشائري اذ توسع نفوذ الاسرة في عهده ليسيطر على قره جولان واتخذها عاصمة له ، وامتد نفوذه الى حدود كركوك التي حاول واليها دولار باشا منع بابا سليمان من الوصول اليها ، الا انه فشل في ذلك وسيطر بابا سليمان على كركوك عام ١٦٩٠بعد ان قتل واليها ، وحاول والي بغداد حسين باشا استعادة كركوك من الاسرة البابانية الا انه فشل في ذلك ، وظلت كركوك تحت حكم الاسرة البابانية حتى العام ١٦٩٩ بعد ان قام والي بغداد اسماعيل باشا بتجهيز حملة تمكن خلالها من استعادة كركوك واحتل كثير من الاراضي التابعة لها ، واضطر بابا سليمان الى اللجوء لدى الباب العالي الذي منحه سنجق بابان بشرط ان يظل تابعا لوالي كركوك .

وصلت هذه الامارة الى اوج قوتها في العام ١٧٠٣ عندما تولى بكر بك الامارة وتوسعت حدودها من ديالي الى الزاب الصغير ، الا ان هذا التوسع لم يستمر فقد قام والي بغداد حسن باشا بارسال جيش كبير عام ١٧١٤ تمكن من القضاء على نفوذ بكر بك وعين عليها متسلما والحقها بولاية شهرزور وتولى حكم الامارة خانة بك عام ١٧٢١ وتميزت علاقة الامارة مع بغداد بحالة وئام وتوافق ، وبلغت الامارة في عهده مرحلة من الازدهار والتوسع مستفيدة من حالة الصراع العثماني الايراني المستمر، اذ انه شارك في الحملة العثمانية على الاراضي الايرانية عام ١٧٢٣ ، ونتيجة لجهوده منحه العثمانيون لقب مير ميران ما يقابل لقب باشا ، كذلك تم ضم مقاطعة اردلان الى املاك الامارة ، غير ان هذه العلاقة الجيدة لم تستمر خاصة بعد انسحاب الامراء الاكراد من الجيش العثماني اثناء حربهم مع الافغان عام ١٧٢٦ ومنهم خانه بك ، مما ادى الى ان يدبر والي بغداد مكيدة ادت الى مقتله عام ١٧٢٨ ، ليتولى حكم الامارة بعده اخيه خالد باشا ، ظل امراء بابان يخرجون عن طاعتهم للعثمانين مستغلين في ذلك دعم الايرانيين لهم جعلهم يشعرون بأن هناك قوة يمكن ان تساندهم اذا خرجوا عن طاعة ولاة بغداد والدولة العثمانية

علل ما ياتي : خروج الامارة البابانية عن طاعة الدولة العثمانية في فترات مختلفة

ج / نتيجة لوجود الايرانيين على الحدود الشرقية والصراع العثماني الايراني المستمر جعلهم يشعرون ان ورائهم قوة اذا ما حاولوا شق عصا الطاعة عن الدولة العثمانية ، وكانت ايران ترحب بمن يلجأ اليها وتجد في ذلك فرصة للتدخل في كردستان .

كان ولاة بغداد يجدون في التنافس بين زعماء الامارة البابانية على الحكم خير وسيلة يستطيعون من خلالها فرض سيطرتهم على كردستان فكانوا يعملون على استمالت بعضهم ضد البعض الاخر من اجل اضعاف نفوذهم ، ففي العام ١٧٥٠ سار سليمان ابو ليلى على راس حملة لقتال سليم باشا متصرف امارة بابان الذي هرب الى ايران فتم تعين ابن عمه سليمان باشا البابانى متصرفا للامارة.

بلغ البابانيون ذروة مجدهم في عهد عبد الرحمن البابانى الذي تولى الامارة عام ١٧٨٨ وكانت لديه اطماع سياسية وقومية ومحاولته تأسيس حكومة مستقلة عن بغداد ، ولم يكتفي بذلك كان يطمح ان يصبح واليا على بغداد، وبعد وفاته عام ١٨١٣ تولى ابنه محمود حكم الامارة الذي كان مدعوما من ايران وعندما اراد والي بغداد سعيد باشا عزله ارسل له الايرانيون قوات تمكن بمعاونتها من اعادته الى السليمانية ، حاول داود باشا باقناع محمود البابانى بالتخلي عن سياسة التذبذ هذه الا انه فشل في ذلك ولم يبقى سوى ان يسير القوات لمقاتلة محمود البابانى وانضم الى داود باشا عم محمود البابانى عبدالله

باشا الذي كان مناوئا له على حكم الامارة ، واستنجد محمود الباباني بالقوات الايرانية ، التي ساعدته في البقاء حاكما على السليمانية بعد ذلك ، في عام ١٨٢٠ طالبت ايران ان يدفع لها ٣٠ الف تومان شهريا وهو ما لا يقدر عليه محمود ، هنا وجد انه لا بد من الاستعانة بداود باشا للتخلص من النفوذ الايراني ، التنافس ما بين محمود وعمه عبدالله جعل كل الدولة العثمانية تساند محمود والايرانيون يساندون عبدالله فحدثت المواجهة بين الطرفين في ايلول عام ١٨٢١ تمكن خلالها الايرانيون من الانتصار وتنصيب عبدالله حاكما على السليمانية ، الا ان ذلك لم يستمر طويلا فقد تمكن محمود من استعادة حكمه على السليمانية عام ١٨٢٣ بمساعدة العثمانيين ، هذا الصراع والتنافس كان قد اضعف الامارة البابانية وحاول حاكم راوندوز محمد باشا الراوندوزي من التوسع على حسابهم ، ووجد حاكم بغداد داود باشا انه لم يعد هناك مقدرة للبابانيين للحفاظ على امارتهم ، واستمر محمد باشا الراوندزوي من التوسع على حساب الامارة البابانية ، لتنهار الامارة البابانية عام ١٨٥٠ لاسيما بعد سقوط السليمانية بيد العثمانيين ودخولها تحت الحكم المباشر لهم ، وبذلك انتهى حكم احد الاسر المحلية هناك .

ثانيا: الاسرة الجليلية في الموصل (١٧٢٦-١٨٣٣)

الاسرة الجليلية هي من الاسر العربية ، قدم جدهم الاكبر عبد الملك من ديار بكر الى الموصل للتجارة عام ١٥٩١م ، وتوفي ولم يكن له سوى ابن واحد هو عبد الجليل واليه تنسب الاسرة الجليلية ، الذي توفي عام ١٦٨١كان له سبعة اولاد ابرزهم اسماعيل الذي قدم خدمات للجيش العثماني اثناء صراعة مع الجيش الصفوي وبرز اسماعيل الجليلي كأحد الشخصيات المهمة في الموصل مع بداية القرن الثامن عشر اذ كانت الموصل في هذه الفترة تعاني من عدم استقرار سياسي ، هذه الاوضاع الغير مستقرة سمحت لإسماعيل الجليلي بالظهور على المسرح السياسي خاصة عندما اصبح هناك عجز في خزينة الولاية ، اذ انه في العام ١٧٢٠ اراد الوالي مصطفى باشا بإنشاء قناطر حجرية لكنه عجز عن تنفيذ المشروع لقلة الاموال ، فتقدم اسماعيل الجليلي فتبرع ببناء القناطر ، وتبرع ايضا بثلث الضرائب التي فرضها الوالي على اصحاب المهن والحرف لسد العجز في الخزينة ، وفي العام ١٧٢٢ تبرع في بناء مسناة لجسر الموصل ،مما جعل اهل الموصل ينظرون اليه نظرة احترام وتقدير على مواقفه هذه ، وفي العام ١٧٢٣ عندما ارادت الدولة العثمانية غزو الاراضي الايرانية عقب سيطرة الافغان عليها وقرر اسماعيل الجليلي تحمل نفقات الجيش الموصلي المشارك في الحملة من الذخائر والامدادات الاخرى ، مما جعل الباب العالي يكافئ اسماعيل الجليلي بمنحه ولاية الموصل عام ، ١٧٢٦ الا انه عزل بعد سنة واحدة من توليه ، وتولى الحكم بعده اثنين من الولاة وهم حسين باشا الدرندي الذي حكم عاما واحدا عام ١٧٢٧ ومن ثم تولى محمد باشا رشوان الذي حكم عامين وعزل ، ليعود الحكم الى الاسرة الجليلية عام ١٧٣٠ بتولي حسين باشا الجليلي ، الذي عزل بعد عشرة ايام من تعينه ، ثم ما لبث ان تم تعينه واليا على الموصل عام ١٧٣٣ الذي قدر له ان يلعب دورا هاما في ولاية الموصل خاصة بعد تصديه لحملة نادر شاه على الموصل عام ١٧٤٣.

حملة نادر شاه على العراق عام ١٧٤٣م:

كان ظهور نادر قلي والذي عرف فيما بعد بنادر شاه في ايران ايذانا بتحولات عسكرية وسياسية في المنطقة عانى منها العراق كثيرا ، استغل نادر شاه الذي ينتمي الى قبيلة افشار التركمانية حالة الفوضى والتمزق التي سادت ايران على اثر الغزو الافغاني والروسي والعثماني ليوسع نفوذه بصفته زعيما لقبيلته من ناحية وحاكما على احدى مدن خرسان ، استطاع من الحاق الهزيمة بالقوات الافغانية ، ودخل نادر خان بقواته مدينة اصفهان واعلن عودة الحكم الصفوي الى ايران .

كان الهجوم الاول لنادر شاه على الاراضي العراقية في عام ١٧٣٣ ، اذ تحركت القوات الايرانية لمهاجمة الاراضي العراقية من عدة جبهات ، كان الهدف الرئيسي له هو احتلال بغداد التي وصلها في ٣

تموز / يوليو وفرض حصارا قاسيا عليها ، مما ادى الى ان تعم المجاعة فيها اضطر الناس الى اكل لحوم الحيوانات الميتة فيها ، استمر حصار نادر شاه لبغداد سبعة اشهر كان خلالها الوالي احمد باشا يرفع معنويات السكان لحين وصل الامدادات من الجيش العثماني بقيادة طوبال باشا الذي اعطاه الباب العالي صلاحيات واسعة ، وفي يوم ١٨ تموز التحم الجيشان العثماني والصفوي في معركة شديدة بالقرب من الدجيل انتهت بهزيمة نادر شاه وفراره من ارض المعركة ، وغادر بغداد وتوجه الى كركوك .

وفي عام ١٧٣٤ حاول ندر شاه مجددا مهاجمة بغداد وفرض الحصار عليها الا انه اضطر الى رفع الحصار بسبب حدوث تمرد في شيراز وبعد القضاء على التمرد عاود الحرب مع الدولة العثمانية ، والتي انتهت بعقد معاهدة القسطنطينية : وهي المعاهدة التي عقدت في ١٨ شباط عام ١٧٣٦ بين الدولة العثمانية ونادر شاه نصت على اقرار الحدود بموجب معاهدة زهاب عام ١٦٣٩وتبادل السفراء بين الدولتين ، تبادل الاسرى وتعين امير للحج ، ومنح امتيازات للزوار الايرانيين للعتبات المقدسة

علل /اصبح العراق في مأمن من خطر نادر شاه بعد عام ١٧٣٦

ج /لانشغاله في قمع المعارضة الداخلية ولقيادته حملة على الهند عام ١٧٣٨

في عام ١٧٤١ تقدم نادر شاه بطلبات الى الدولة العثمانية تضمنت حرية التجارة التامة ، واكساء الكعبة الشريفة بنفسه وعدم بيع وشراء الاسرى من كلا الطرفين ، غير ان الدولة العثمانية رفضت هذه الطلبات ، واتخذ نادر شاه من هذا الرفض حجة لهجومه على العراق

في تموز عام ١٧٤٣ تحركت القوات الايرانية والتي قدرت ب ١٧ الف مقاتل نحو الاراضي العراقية عن طريق محور كركوك – اربيل ، فسيطرت على قسم من شهرزور ودرنه ومندلي ، في حين هاجمت قسم القوات الايرانية ارضروم بهدف اشغال الدولة العثمانية عن تحركها في الاراضي العراقية وما ان وصلت الاخبار الى والي بغداد احمد باشا حتى بدأ بتحصينها وترميم اسوارها

علل/ لم تكن وجهة القوات الايرانية بقيادة نادر شاه باتجاه بغداد وانما باتجاه المناطق الشمالية .

ج / بهدف قطع طرق الامدادات عن القوات العثمانية المتواجدة في بغداد اذ ان جميع الحملات العثمانية كانت تتخذ من الموصل قاعدة لانطلاقها ، لذا فأن السيطرة على الموصل يعني سهولة السيطرة على بغداد والبصرة .

بدأت القوات الايرانية بالتحرك نحو كركوك التي حاصرتها وقصفتها لمدة يومين مما اضطر واليها حسين باشا جمال الى الهرب واستسلمت المدينة لنادر شاه الذي فتك باهلها ، بعدها وصل حسن افندي قاضي كركوك ومعه اثنين من اعيان المدينة الى والي الموصل حسين باشا الجليلي يحملون رسالة من نادر شاه يتحدث فيها عن فتوحاته في الهند والحاقه الهزيمة بالعثمانيين ويطالبه بالاستسلام قبل فوات الاوان ، وتوجه الى اربيل التي سقطت هي الاخرى بيده ولم يتبقى امامه سوى الموصل ، التي كان جواب حسين الجليلي ان الموصل مستعدة لرد كيد كل محتل اجنبي ، وقبل تحرك نادر شاه من اربيل الى الموصل ارسل رسالة ثانية لحسين باشا الجليلي يطلب منه الاستسلام الا ان الجليلي رفض ذلك رفضا قاطعا وانه مستعد مع اهل الموصل للدفاع عن مدينتهم ، مما زاد من غضب نادر شاه الذي قرر السيطرة على المدينة ، وما ان وصلت الاخبار الى حسين باشا الجليلي واهل الموصل بتحرك قوات نادر شاه الى مدينتهم حتى سارعوا بترميم سور المدينة وسد الثغرات الموجودة فيه ، وتعميق الخندق حول المدينة ، وصدرت الاوامر لسكان الاطراف بالتوجه الى داخل المدينة للاحتماء باسوارها ، وفي يوم ١٥ تموز عام ١٧٤٣ وصلت القوات الايرانية الى الموصل من جهتها الشرقية ، حاول حسين الجليلي التعرض للقوات الايرانية وارسل اخاه عبد الفتاح على راس جيش الا ان القوات الايرانية تمكنت من هزيمته واضطر الى الانسحاب الى داخل المدينة ، وفي يوم ٢٦ ايلول / سبتمبر وصل نادر شاه بجيش قوامه ١٥٠ الف مقاتل وعسكر في منطقة يارمجة التي اتخذها مقرا له ، وبدأ بقصف المدينة بالمدفعية ولمدة ثلاثة ايام ومن جميع الجهات وبدون توقف ، وحاول تغير الخطة بان يكون القصف من جهة واحدة محاولا احداث ثغرة في السور من جهة باش طابيا من اجل اقتحام المدينة ، وبعدما شعر نادر شاه بانه استنفذ جميع الخطط وفشل في اقتحام المدينة ، ووصول اخبار بحدوث تمرد في فارس وشيروان ، قرر التفاوض مع حسين الجليلي وتم الاتفاق على الصلح بشروط غريبة هي طلب نادر شاه عدد من الخيول ومقدار من الزيت ، كان موقف حسين الجليلي وحكمته وقيادته في الدفاع عن الموصل قد رفع شانه لدى السلطان محمود الاول الذي كافأه بتمليكه قرية قرقوش القريبة من الموصل .

علاقة الدولة العثمانية بالاسرة الجليلية:

كانت الدولة العثمانية تخشى من تعاظم نفوذ السرة الجليلية ، شأنها في ذلك في تعاملها مع باقي الاسر المحلية كما مر بنا سابقا ، لكن ونتيجة للظروف التي كان يمر بها العراق والتحدي الخطير والمتمثل بتهديد نادر شاه اقرت الدولة العثمانية بتعين حسين الجليلي واليا على الموصل عام ١٧٤٣ كما ذكرنا سابقا .

وفي اعقاب زوال الخطر الايراني سرعان ما اصدر الباب العالي قرارا بنقل حسين الجليلي الى عدد من الولايات مثل البصرة وادنة وجنوب الاناضول وغيرها من الولايات ، هكذا نرى ان الدولة العثمانية كانت تستفيد

منهم في وقت الازمات ، والعمل على ابعادهم بعد زوال الخطر والخشية من ان تتحول الاسرة المحلية الى قوة لا يستهان بها، كان حكام بغداد من المماليك يريدون التخلص من نفوذ الجليلين في الموصل ومحاولة استعادة حكمهم عليها ، ففي فترة الحاكم المملوكي سليمان باشا الصغير لولاية بغداد ، كانت لديه رغبة في استعادة تبعية الموصل الى بغداد فعمل على اثارة الفتن والفوضى في المدينة ورشح احمد افندي لتولي الحكم في الموصل، خاصة بعد اشتداد مرض نعمان باشا الجليلي ، وان احمد افندي تعهد لوالي بغداد بإزالة الاسرة الجليلية عن الحكم ، اذا ما ساعده في تولي حكم الموصل ، وقد حاول بعض افراد الاسرة الجليلية باقناع والي بغداد بسحب ترشيحه لاحمد افندي عن حكم الولاية الا ان مساعيهم باءت بالفشل ، بعد ان اعلن الباب العالي عن موافقته بتعين احمد افندي واليا على الموصل ، مما اثار نقمت الجليلين واعلنوا عن ثورة اهلية بقيادة اسعد بك الجليلي ، استاء الباب العالي مما يقوم به امراء الاسرة الجليلية ، ووجه امرا الى والي بغداد من اجل ارسال قوات للقضاء عليهم ،التي لم تتمكن من ذلك ، مما اضطر الباب العالي الى تعين محمود باشا الجليلي واليا على الموصل .

وعندما تولى داود باشا الحكم في بغداد كان احمد باشا الجليلي على عكس اسلافه من الاسرة الجليلية في تعاملهم مع حكام بغداد ، اذا كان دائما ما يحاول التخلص من تبعيته لداود باشا ا، الامر الذي دفع داود باشا باقناع الباب العالي بعزل احمد الجليلي ونفيه الى حلب وتعين حسن الجليلي بدلا عنه.

كانت الفوضى قد ضربت الموصل بسبب اشتداد الصراع بين افراد الاسرة الجليلية على الحكم وحدوث مجاعة فيها ، وقيام رجال الحكم باحتكار البضائع وبيعها للناس بأسعار باهظة ، مما اوجد ضيق اقتصادي في اواخر حكم يحيى باشا الجليلي الامر الذي ادى الى حدوث ثورة شعبية قادها العمريون عام ١٨٢٦مما اضطر يحيى باشا بالهرب الى بغداد التي ساعدته بالعودة الى ولاية الموصل بدعم من داود باشا ، لكن ما لبث ان صدر فرمان سلطاني بتعين عبد الرحمن الجليلي واليا على الموصل ، والذي حدث في عهده ثورة تزعمها قاسم العمري ادت الى مقتل عبد الرحمن الجليلي عام ١٨٢٨، لقد حاول داود باشا إعادة حكم الاسرة الجليلية الضعيف على الموصل مما يمكنه من السيطرة عليها فكتب الى الباب العالي ان يتم تعين محمد امين باشا الجليلي حاكما على الموصل الذي ما ان وصل الموصل حتى نكل بالثوار ونفاهم الى تلعفر ، الا انهم تمكنوا وبمساعدة اهلي تلعفر من دخول المدينة ونشوب الحرب فيها لمدة واحد وعشرين يوم تمكنوا خلالها من السيطرة على الاوضاع واضطر محمد امين باشا بالهرب الى بغداد وكتب الثوار الى الباب اللي يطالبون بتعين قاسم العمري واليا على الموصل ، وفي عام ١٨٣٣ انتهى حكم الاسرة الجليلية واصبحت الموصل تحت الحكم العثماني المباشر.

حركة الاصلاحات والتنظيمات العثمانية:

تزامن استرجاع بغداد من ايدي الولاة المماليك واخضاعها للحكم المباشر للعاصمة الاستانة ، قيام السلطان محمود الثاني (١٨٠٨-١٨٣٩) بحركة اصلاحات واسعة ، تلك الاصلاحات التي كانت اساسا لما عرف(بعهد التنظيمات) والتي بدأت بإعلان السلطان عبد المجيد (١٨٣٩-١٨٦١) للمرسوم الاصلاحي (خط شريف كولخانة) عام ١٨٣٩: وهو المرسوم الاصلاحي الذي استطاع وزير الخارجية مصطفى باشا وهو من دعاة الاصلاح استصداره عام ١٨٣٩م ، وتلاه السلطان عبد المجيد في قصر طوب قابو

وتضمن بعض المبادئ منها

١- صيانة ارواح واموال واعراض الناس وحفظها من اي اعتداء ومنع مصادرة اموال المحكوم عليهم
٢- تنظيم وعدالة جباية الضرائب وابطال نظام الالتزام
٣- وتحديد مدة الخدمة العسكرية للمجندين وتنظيمها على اسس سليمة
٤- العمل بمبدأ المساواة في معاملة مواطني الدولة وعدم التفريق بينهم على اساس ديني
٥- تحسين احوال الموظفين بزيادة رواتبهم لغرض القضاء على الرشوة.

ويعد مرسوم كولخانة الحلقة الاولى من سلسلة مراسيم وقوانين صدرت في اعقابه تضمنت اعادة تنظيم الاجهزة الادارية والمالية والقضائية ، والعمل على تحسين نظم الحكم والادارة في عاصمة الدولة وايالاتها في الفترة الممتدة من صدور خط شريف كولخانة حتى اعلان الدستور العثماني عام ١٨٧٦م، كانت الدولة العثمانية تدرك ان محاولات الاصلاح لا تشمل الجيش فقط بل يجب ان تشمل جميع مفاصل الدولة .

اعقب اصدار خط شريف كولخانة صدور مرسوم اصلاحي اخر عرف بـ(خط همايون) عام ١٨٥٦م : وهو مرسوم اصدره السلطان عبد المجيد وكتبه بخط يده (بخط الهمايون وهو احد انواع الخطوط التركية) ووجه الى الصدر الاعظم محمد امين باشا وقرئ في الباب العالي بحضور وكلاء الدولة واركانها ورؤساء مختلف الطوائف الدينية العثمانية .

اهم ما جاء في خط همايون :

١- التأكيد على ما ورد في خط شريف كولخانة وقوانينه
٢- تنظيم اعمال المحاكم وان تقاضي المسلمين وغير المسلمين اما محكمة واحدة
٣- اصلاح السجون ورفع المظالم وترتيب اعمال دوائر الامن (الضبطية)
٤- وضع قوانين خاصة لبيع العقارات والاملاك والسماح للاجانب بتملك العقارات

٥- اصلاح نظام جباية الضرائب والغاء طريقة الالتزام التي كان معمولا بها

٦- تنظيم سجلات الدولة بواراداتها ومصروفاتها

٧- العمل على تحسين رواتب الموظفين وسن قوانين لمعاقبة المتهمين بالفساد والرشوة .

اثر حركة الاصلاحات العثمانية على العراق (ولاية مدحت باشا)

ولد مدحت باشا في استنبول عام ١٨٢٢م وقد اسماه ابو بـ (احمد شفيق) غير انه سمي بمدحت بعد ان التحق بالديوان الهمايوني واتقن الخط الديواني في ستة اشهر ، كما اتقن عدد من المعارف ، وزار باريس ولندن وفينا وبلجيكا للتعرف على انظمة الحكم هناك ووسائل عمرانها وقد عين واليا على الدانوب(١٨٦٠- ١٨٦٩) ورئيسا لمجلس شورى الدولة ثم واليا على بغداد عام ١٨٦٩ .

كان من الولاة البارزين الذين شهدتهم الدولة العثمانية ، لما كان يتمتع به من مواهب ادارية وقدرات في روح الاصلاح والتجديد ، وكان لديه اطلاع على ما وصلته الدول الاوربية من تقدم ، ونتيجة لذلك ولأهمية ولاية بغداد فقد صدر الفرمان السلطاني بتعينه واليا على بغداد التي وصلها في ٣٠ نيسان / ابريل عام ١٨٦٩م ، وقد منح مدحت باشا السلطتين المدنية والعسكرية وزود بصلاحيات واسعة لتنفيذ اصلاحاته في ولايتي الموصل والبصرة ، وتجلت اجراءاته في ادخال الاصلاحات الادارية والاقتصادية وتطبيق قانوني الاراضي والولايات والعمل على ربط الولايات الثلاث ببعضها البعض وتقوية السلطة المركزية عليها ، وكان من اهم اصلاحات مدحت باشا في العراق :

١- نظام الطابو وتوطين العشائر:

كانت سياسة مدحت باشا تجاه مشكلة العشائر التي كانت عصية على جميع الولاة الذين حكموا العراق ، تتسم بالحذر والذكاء فقد اقنع بعض زعماء القبائل بفوائد التجديد فوافقوا على انشاء بعض المدن والمرافق الحكومية على اراضيهم ، وعمل على معالجة مشكلة الارض لربطهم وتشجيعهم على الاستقرار والتحول الى الزراعة ، فأخذ يبيع الاراضي الاميرية بأقساط سهلة الدفع على تبقى لهم حرية التصرف بها بيد الدولة ، ومنح الاراضي للأشخاص الذين قاموا بكري الانهار وزراعة الاشجار ولشيوخ القبائل من اجل توطين القبائل واستقرارها، غير ان مدحت باشا جابه تمردات بعض العشائر بالقوة كما حصل مع قبيلة شمر الجربا ، اذ كانت هذه القبيلة مسيطرة على منطقة الحدود بين سوريا والعراق وكذلك على الطريق الممتد بين تكريت والموصل ، اذ كانت تفرض ضريبة (الخوة) على القوافل التي تمر بأراضيها وضريبة (الكودة) التي تفرض على رؤوس المواشي ، ونشب قتال بين الجيش وابناء شمر انتهت بالقبض على الشيخ عبد الكريم الجربا واعدامه في الموصل وتولى المشيخة اخوه فرحان الذي تصالح مع الحكومة وصار يتسلم راتبا شهريا ، واقطع لعشيرة شمر اراضي في تكريت والشرقاط من اجل توطينهم والتخلص من مشاكلهم .

اما عشائر المنتفك فقد استطاع مدحت باشا حل مشاكلها دون اللجوء الى العمليات العسكرية ، اذ شجع شيوخها من ال السعدون على تفويض اراضي لعشيرتهم والالتزام بدفع الضرائب الى الحكومة ، فيما يخص الاراضي وتوزيعها كانت اجراءاته مستوحاة من قانون الطابو (الاراضي العثمانية لعام

١٨٥٦م) الا ان تطورات عديدة ادخلها مدحت باشا تتماشى مع وضع وظروف العراق الاجتماعية بالتحديد، ولغرض تنظيم تسجيل الاراضي تم انشاء اول دائرة للطابو (التسجيل العقاري) وشكلت لجنة لتسوية الاراضي كان عملها في الفرات الاوسط والبصرة ، على الرغم الاخطاء التي حدثت في تطبيق قانون الطابو بسبب قلة الموظفين الاداريين النزيهين الا انه كان خطوة جيدة في ارساء قواعد تنظيم الملكية العقارية وتسجيلها في العراق .

٢- التنظيم الاداري :

استند مدحت باشا الى قانون الولايات العثماني الذي صدر عام ١٨٦٤م لتنظيم وادارة البلاد ، فعرف العراق لأول مرة في العصر الحديث تنظيما اداريا محكما ارتبطت بواسطته انحاء العراق كافة بمراكز ادارية رئيسية هي النواحي التي ترتبط بالأقضية والتي ترتبط هي الاخرى بالسناجق (الالوية او الولايات) ، وان التنظيم جرى على اساس ثلاث ولايات هي بغداد والموصل والبصرة ، وان الاجراءات الادارية الجديد جعلت كل من ولايتي الموصل تابعة لولاية بغداد اي ان الادارة المركزية هي في بغداد تتولى الاشراف على شؤن القطر بأجمعه ، وتقرر تشكيل مجالس محلية منتخبة في كل وحدة ادارية ، فكان مجلس الولاية يتألف من الوالي وعدد من الاعضاء بعضهم من الاهالي والبعض الاخر من كبار الموظفين ، كذلك الحال بالنسبة الى الاقضية والنواحي التي شكلت فيها مجالس ، وظل العمل بهذه المجالس حتى الاحتلال البريطاني للعراق .

٣- التنظيمات العسكرية:

لاحظ مدحت باشا ان القيام بالإصلاحات المطلوبة دون حكومة قوية يسندها جيش قوي تعتمد عليه عند اللزوم ، وان اكثرية الجيش النظامي كان من غير العراقيين ، وان جميع ضباطه من الاجانب ، فاراد تبديل العناصر غير العراقية بالعراقيين ليحس السكان بالشعور والولاء نحو الجيش ، لذا باشر مدحت باشا بتطبيق نظام التجنيد الاجباري ونجح في ذلك في كثير مناطق العراق ماعدا مناطق الفرات الاوسط التي عارضت تطبيقه ، ونشبت ثورة ضد قانون التجنيد عرفت بثورة الدغارة استمرت مدة شهرين انتهت بسيطرة الجيش والقضاء على الثورة واعدام عدد من شيوخ القبائل الثائرة ، وطبق مدحت باشا نظام القرعة في اختيار المكلفين بالخدمة العسكرية ، وخلال ثلاث سنوات تضاعف عدد افراد الجيش وصار مؤلفا من ١٦ كتيبة مشاة وكتيبتين من الخيالة وكتيبة من المدفعية يبلغ عدد افرادها ١٢ الف جندي .

كان اهتمام مدحت باشا بالجيش كبيرا فتم انشاء معمل للنسيج لإنتاج الملابس العسكرية للجنود وانتاج الخيام ، وانشاء معمل للطحين بغية انتاج الخبز للجيش ، وتم تأسيس اول مدرسة رشيدية عسكرية في بغداد ، ليلتحق الناجحون منها بالإعدادية العسكرية ثم يلتحقون بالمدرسة الحربية في اسطنبول ليتخرجوا ضابطا في الجيش العثماني ، لهذا صار العراقيون يتبوؤن الرتب والمناصب العسكرية في الجيش كما الغى تنظيمات باشي بوزوق(هم متطوعون في الجيش) واحل محلها الشرطة

والجندرمة محل الضبطية واصبح جهاز الشرطة مسؤولا عن حفظ الامن داخل المدن والجندرمة خارجها .

حاول مدحت باشا حل مشكلات الحدود مع ايران واستغل فرصة زيارة ناصر الدين شاه للعراق عام ١٨٧١م وعرض عليه القضايا التي تثير المشاكل على الحدود ، ولكن حكومة الشاه رفضت التعاون في حل تلك المشكلات ، لذلك وضع مدحت باشا خطة لمنع الايرانيين من مهاجمة القرى الحدودية العراقية ، فأنشأ افواج من المتطوعين العراقيين المدربين (المغاوير) وتدفع لهم رواتب مجزية وبنى سلسلة من القلاع والحصون على طول الحدود من قلعة كلعنبر في السليمانية الى خانقين .

ومن اصلاحاته في المجال العسكري ايضا انشائه دار للصناعة البحرية (الترسانة) يعمل فيها ستين رجل تحت رئاسة مهندس انكليزي والمكائن تم جلبها من أوربا ، فضلا عن استيراد مركبين تم صنعهما في كلايد يبلغ طول الواحد منهما ١١٠قدم .

٤- المواصلات:

في ميدان المواصلات اعاد مدحت تشكيل الشركة الحكومية المسماة (الادارة العثمانية النهرية) واصلح بواخرها القديمة ، وتم شراء بواخر جديدة ذات حمولات كبيرة ، واسس لهذا الغرض محطات الوقود في مسقط وعدن وبندر عباس وبوشهر ،وصارت البواخر العثمانية تتحرك بين البصرة واسطنبول عبر قناة السويس التي افتتحت عام ١٨٦٩م ، وكان عدد البواخر ثمانية اربع منها تبحر بين البصرة واسطنبول والاربع الاخرى للملاحة الداخلية في دجلة والفرات وشط العرب .

من مشاريع النقل المهمة التي انشائها مدحت باشا هو ترامواي بغداد الكاظمية وساهم في هذا المشروع الاغنياء من اهل بغداد بعد انشاء شركة مساهمة وتم افتتاحه عام ١٨٧١ بعد جلب عربات له من انكلترا ، وبلغت كلفت المشروع ٢٤ الف ليرة تركية دفع ١٨ الف منها من رأس مال الشركة اما باقي المال تم دفعه من الارباح .

٥- التعليم والحركة الثقافية :

في عهد مدحت باشا دخل التعليم الرسمي الحديث الى العراق وانشأت اولى المدارس الحديثة وفي مقدمتها المدرسة الرشيدية الملكية مدة الدراسة فيها اربع سنوات بعد الابتدائية فضلا عن انه انشأ مدرسة الصناعة ومدة الدراسة فيها اربع سنوات بعد الابتدائية ايضا ، يتلقى الطالب خلالها دروس تثقيفية ويتخصصون في احدى المهن كالخياطة او الحدادة او الطباعة ، كان الطلاب في المدارس يدرسون اللغات التركية والفرنسية والانكليزية والتاريخ والجغرافية والفيزياء وغيرها من العلوم ، وتم انشاء مدرسة صناعية للأيتام عام ١٨٧١م ضمت ٨٠ طالب ، وكان هؤلاء الطلاب يعملون في مصانع النسيج ، وكان في المدرسة غرفة للطعام واماكن للنوم ومستشفى وكانت على درجة عالية من النظافة .

لقد كان مدحت باشا في طليعة الولاة العثمانيين الذين اهتموا بالطباعة والصحافة فأسس مطبعة حكومية باسم مطبعة الولاية واصدر جريدة رسمية باسم جريدة الزوراء في ١٥ حزيران عام ١٨٦٩م ،

وكانت تصدر مرتين في الاسبوع باللغتين العربية والتركية ، واستمر صدورها حتى الاحتلال البريطاني لبغداد عام ١٩١٧م ، اما محتوياتها فكانت تتضمن البيانات الحكومية والاخبار المحلية والانباء العالمية ومقالات سياسية وادبية وحقلا لرسائل القراء وانتقاداتهم .

٦- الحركة العمرانية :

في عهد مدحت باشا تم بناء مدينتي الناصرية عام ١٨٧٠ والرمادي عام ١٨٧٢ ، ومن اعماله بناء المستشفيات منها المستشفى العسكري الذي كان واسعا ونظيفا، وانشأ مستشفى لمعالجة الوافدين وتطبيق الحجر الصحي عليهم سميت بمستشفى الغرباء وشيد مدحت باشا دور حديثة للحكومة ومزرعة نموذجية وارسل المهندسين لتنظيم الري وردم المستنقعات وتحويلها الى ارض صالحة للزراعة وشجع على زراعة محاصيل جديدة ، واظهر اهتمام بإصلاح نظام الضرائب الزراعية ، واسس مصنعا لتقشير الرز في بغداد ، واسس مصفاة للنفط في بعقوبة ومعملا لإصلاح السفن في البصرة ، واقام متنزها عاما في بغداد وشجع الاهالي على ارتياده .

لقد بذل مدحت باشا جهودا كبيرة لتحديث العراق ونجح في تطوير مختلف الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية مما دفع الكثير من المؤرخين بوصفه ابو الاصلاح لكن ذلك لم يمنع عن وجود اخطاء واخفاق في بعض المشاريع منها عدم توفر الاموال اللازمة لإنجازها خاصة فيما يتعلق بالري واستصلاح الاراضي فضلا عن وجود مخالفات في سجلات الطابو بتسجيل الاراضي المفوضة للمالكين الجدد ، انتهت ولايته في العراق بعد ان قدم استقالته من منصبه احتجاجا على قرار اصدره الصدر الاعظم محمود نديم بخصم مبلغ كبير من مصروفات بغداد وتحويلها للعاصمة اسطنبول ، وقلبت استقالته وغادر بغداد في ٢٧ ايار / مايو عام ١٨٧٢م ، تولى بعدها منصب الصدر الاعظم الا انه اتهم بالتآمر في مقتل السلطان عبد العزيز ، فنفي الى الطائف وقتل هناك في السجن في ظروف غامضة عام ١٨٨٤م.

الاوضاع العامة في العراق في العهد العثماني:

كانت الاوضاع العامة في العراق منها الاقتصادية والاجتماعية متدهورة وللوقوف على تلك الاوضاع سيتم مناقشتها بشكل مفصل وكل منها على حدا:

الاوضاع الاقتصادية:

عانى العراق من تدهور اوضاعه الاقتصادية ابان العهد العثماني اذ تعاقب على احتلاله كل من العثمانيون والايرانيون ، واستمرت حالة الصراع بينهما ما يقرب من اربعة قرون مما اثر سلبا على مجمل الاوضاع الاقتصادية التي ستناولها تباعا.

اولا : الزراعة :

كانت الدولة العثمانية تعتمد على نظام الارض والزراعة بهدف تزويد الجيش وموظفيها المدنيين بموارد العيش ، لذا فإنها وبعد احتلالها للعراق قامت بإجراء مسح شامل للأراضي الزراعية ، وابقت على طريقة توزيع الاراضي القديم ، ولم تدخل تعديلات على نظام الضرائب الزراعية وابقت على العلاقة بين المسيطرين عليها وبين العاملين فيها من الفلاحين.

عدت الدولة نفسها هي صاحبة جميع الاراضي ولها حق التصرف بها تصرفا مطلقا ، وكانت تقوم بإقطاع قسم منها الى عدد من الموظفين والجنود مقابل خدماتهم للدولة ، ولم يكن هذا الاقطاع يعني تملكهم للأرض وانما تفوضهم حق جباية الضرائب منها، كذلك منحت الدولة كبار الموظفين وبعض الحكام والجنود والاقطاعين اراضي زراعية تتباين مساحتها باختلاف نفوذ صاحبها ، ان وضع الفلاح وعمله في هذه التقسيمات يوضح ان الملاك وهم فئة قليلة ولهم سطوة وسيطرة على الفلاحين الذين يشكلون الاكثرية ، وكان على الفلاحين دفع الضرائب المفروضة على اراضيهم ، وكان هم الدولة هو بقاء الفلاح يعمل وينتج لضمان استمرار الانتاج الزراعي من جهة وحصولها على الضرائب من الفلاح من جهة اخرى دون ان يكون اهتمام من قبلها بوضع الفلاحين ومعاناتهم .

من الانماط الزراعية التي ظهرت في عهد المماليك هي المغارسة : وهي ان يمنح شخص ارضه زراعية الى احد الفلاحين لغرسها بالأشجار ويكون الاثنان شريكان بالأرض والاشجار بسنبة معلومة ، وكان شيوع هذا النظام في العهد المملوكي الاخير .

انعكست الاوضاع السيئة على مجمل الانتاج الزراعي اذ لم تستغل الارض استغلالا جيدا ليس بسبب وضع الفلاح المزري فقط ، وانما كان لاضطراب الاوضاع السياسية اثر في تقليص

مساحة الارض المزروعة ، فكثيرا ما كانت الحملات العسكرية التي يوجهها الولاة لإخضاع العشائر تؤدي الى احراق المحاصيل واتلافها ، فضلا عما كانت تحدثه الفيضانات والاوبئة التي كان ضررها المباشر على الفلاحين واسرهم .

تنوعت المحاصيل الزراعية تبعا للتوزيع الجغرافي ويأتي في مقدمتها المحاصيل التي تشكل المواد الاساسية في الغذاء اليومي كالقمح والشعير والرز وغيرها من المحاصيل ، كانت المحاصيل على نوعين الصيفية منها والتي تشكل ٣٠% من مساحة الاراضي والشتوية التي تشكل ٧٠% منها .

كانت هناك صعوبات اخرى وعديدة تعاني منها الزراعة منا انعدام طرق المواصلات بين القرى والمدن خصوصا في فصل الشتاء ، والاعتماد على وسائل الزراعة القديمة منها المحراث الذي تجره الحيوانات ، فضلا عن وسائل الري كالنواعير او الدواليب او شق القنوات الفرعية للأنهر والتي كثيرا ما كان يعاني منها الفلاح خصوصا في فصل الصيف وانخفاض مستوى الانهار ، على الرغم من محاولة بعض الولاة لكري الانهر والقنوات لكنها لم تكن تلبي حاجات وطموح الفلاحين .

كذلك بالنسبة للأسواق الخارجية لاسيما الاوربية منها التي كانت تحدد نوع وكمية الانتاج الزراعي العراقي ، فوجدت منتجات حيوانية وزراعية طريقها للأسواق الاوربية ، الا ان ذلك لم يساهم في تطور الانتاج الزراعي ، على الرغم من بعض المحاولات الاصلاحية لتطوير الزراعة من قبل الوالي مدحت باشا والتي سيتم ذكرها لاحقا ، الا ان الزراعة ظلت تعاني من الاهمال وعدم تطوريها مما انعكس لبا على وضع الفلاح الاقتصادي .

الصناعة :

كان للتطورات السياسية والاقتصادية التي شهدها المشرق العربي اثر كبير في انهاك الاقتصاد العراقي ، فألى جانب عدم الاستقرار السياسي في الدولة العثمانية ، كانت الصناعات الاوربية قد اخذت تنشط ونافست الصناعات المحلية التي لم تكن الدولة العثمانية تحميها بالرسوم الكمركية ، بل على العكس كانت تسهل للتجار الاوربيين سبل التجارة وخفضت لهم التعريفة الجمركية ، فضلا عن الحروب والكوارث الطبيعية قد ادت الى انقراض عائلات حرفية ماهرة، كما ان الولاة لم يكن لديهم تشجيع ايجابي فضلا عن تعسفهم وابتزازهم المستمر لاهل الصناعات والحرف .

رغم تراجع الصناعة الا انه ظلت بعض المدن محتفظة بصناعة المنسوجات الصوفية والقطنية والحريرية التي تقوم بها النساء في البيوتات وتعتمد تلك الصناعات على المواد الخام المحلية ، علل /ان مدينة الموصل كانت متميزة مقارنة بالمدن الاخرى في مجال الصناعات النسيجية على اختلاف انواعها ، ج / يعزى ذلك لظهور طبقة قوية من التجار في القرن الثامن عشر كان لهم الفضل في وضع البدايات لحركة صناعية نشطة حولت المدينة الى مركز تجاري مهم يصل بين تجارةبلاد الشام والبحر المتوسط من جهة والخليج العربي والهند من جهة اخرى

نالت صناعة البارود اهمية خاصة بحكم الحاجة المستمرة اليها ، واصبحت بغداد مركزا مهما لتلك الصناعة منذ القرن السادس عشر ، وتزايدت معاملها لاحقا لتبلغ ستة عشر معملا في اواخر القرن الثامن عشر ، كذلك برزت صناعة القوارب في العراق ، اذ اشار الرحالة الاجانب اليها وكان يستخدمون صناعها مادة القير الذ يجلبونه من مدينة هيت لطلائها لمنع تسرب الماء اليها.

كانت اوضاع العاملين في الميدان الصناعي متدهورة ، فهم يخضعون للضرائب الباهظة الى جانب ظروف العمل السيئة ، بالرغم من انتظامهم في الاصناف الحرفية التي كانت قائمة آنذاك والتي لم تكن بالمستوى التي يمكنها من تمارس دورها في الفعاليات السياسية ، كانت الظروف المعيشية لمعظم سكان العراق سيئة جدا مما له اثر على الصناعات الحرفية فيما يتعلق بالطلب على السلع وانتاجها فمعظم السكان لم يكونوا يفكرون الا في شراء الحاجات الضرورية والتي تمس حياتهم المباشر .

تأسست في بغداد في القرن التاسع عشر ورش لغزل النسيج وحياكة البسط وصناعة الاباريق النحاسية ، وفي المدن كان الحرفيون يشتغلون في دباغة الجلود التي تدخل في صناعة الاحذية والسروج ، واشتهرت السليمانية بصناعة الاسلحة خاصة البنادق ، انشئت في البصرة مصانع بسيطة لكبس التمور وايضا اماكن لصنع السفن فيها ، كان الاقتصاد العراقي متأثرا وبشكل كبير لاقتصاد راس المال الاجنبي واصبح العراق سوقا لتصريف البضائع الاجنبية مما ادى الى تقليص الانتاج المحلي خصوصا في صناعة النسيج وتناقص عدد الحرفيين العاملين فيها في اواخر السيطرة العثمانية للعراق .

التجارة:

مع مطلع القرن السادس عشر تعرض العراق الى تدهور في اوضاعه الاقتصادية ومنها التجارة ، اذ انه وبعد الاحتلال الصفوي للبلاد وتحالفهم مع البرتغاليين وفرض سيطرتهم على

سواحل الخليج العربي مما ادى الى تحول الطرق التجارية الى راس الرجاء الصالح ، وتدهورت تجارة البصرة وحرمان التجار من موارد كبيرة كانت قائمة اساسا على تجارة الهند .

كانت التجارة الداخلية قد بقيت بعد السيطرة العثمانية على العراق كما كانت في العصور السابقة من تاخر وسائل النقل والمواصلات فضلا عن انعدام الامن في الطرقات ، والفقر المدقع الذي يعانيه السعب عموما ، كما ان الضرائب المفروضة على البضائع التجارية كل هذا ادى الى تدهور التجارة الداخلية في البلاد .

اما بالنسبة للطرق التجارية فقد كانت على نوعين الطرق البرية ومنها طريق بغداد – البصرة وبغداد – الموصل وبغداد – كركوك – التون كوبري وبغداد – حلوان ، هذا الطرق كانت تتعرض باستمرار للمخاطر ، لذا كان التجار يفضلون النوع الثاني من الطرق وهي الطرق النهرية ، التي كان يعول عليها التجار مما جعل لها اهمية خاصة في التجارة الداخلية ، ومن اهم الطرق النهرية طريق الموصل – بغداد وكانت تستخدم فيه الاكلاك لنقل البضائع وطريق بغداد – البصرة هذه الطرق كانت ايضا فيها مخاطر منها انخفاض مناسيب المياه الذي يعيق حركة الملاحة في الانهر ، فضلا عن ان الوصول الى المحطات التجارية وتفريغ الحمولات فيها يصعب على التجار الرجوع عبر الانهر لكونهم يسيرون عكس التيار مما يضطرهم الى العودة عبر الطرق البرية .

كان هناك مركزان تجاريان مهمان هما الموصل والبصرة التي كانت ذات نشاط تجاري مزدوج بحكم موقعها على الخليج العربي ، لقد طرأ تحسن على التجارة منذ بداية القرن السابع عشر ، اذ كانت البصرة تصدر تمورها الى بغداد والى موانئ ايران وهرمز التي توفر للبصرة مختلف البضائع القادمة من الهند ، وكذلك نمت تجارتها مع كل من الاحساء والقطيف وانحاء شبه الجزيرة العربية ، وكان تجار بغداد يستوردون كميات من البضائع من ايران ، كذلك الحال بالنسبة لمدينة عانة التي كانت تمر بها القوافل التجارية بين حلب وطرابلس ودمشق وبغداد ، وكانت اغلب البضائع هي المنسوجات الحريرية من التجار الاكراد والعفص من الموصل .

زادت اهمية العراق التجارية لا سيما البصرة بتأسيس الشركات التجارية الهولندية والفرنسية والبريطانية كما ذكرنا سابقا ، اذ اخذ يتردد على البصرة الكثير من التجار من حلب واورفة وديار بكر والموصل ، ومعهم مبالغ طائلة من الاموال لاستثمارها في التجارة ، وكانت ترد الى ميناء البصرة الكثير من السفن التجارية للانكليز وغيرهم من الاوربيين ، وكانت تجارة بغداد تعتمد اعتمادا كليا على تجارة البصرة وموانئها ، التي تنقل كثير من البضائع عبرها ومن ثم الى

بغداد ومنها الى همدان وارضروم وارمينيا وجورجيا ، وهذه البضائع تشمل النحاس والزرنيخ والحرير الخام والذهب والفضة والاقمشة الكتانية والكوفيات البغدادية وغيرها من البضائع ذات الاهمية التجارية .

ومن المدن التجارية المهمة ايضا اربيل التي اشتهرت تجارتها في العهد العثماني ، واسهم موقعها الجغرافي بازدهارها واصبحت ملتقى للقوافل التجارية القادمة من ايران ، وكانت تصدر الحنطة والشعير ، فضلا عن الاصواف والصباغ والاخشاب والعسل والفواكه المجففة والتبغ ، وكانت تستورد السكر والبن من الموصل وبغداد .

كانت الضرائب المفروضة على التجار تثقل كاهلهم والتي كانت تفرض على مختلف البضائع سواء عند دخولها او تصديرها ، كذلك تأثرت تجارة العراق منذ النصف الاول من القرن التاسع عشر بظهور الثورة الصناعية في اوربا وبالتطورات العالمية الاخرى لكن بدرجة اقل

وفي النصف الثاني من القرن التاسع شهدت تجارة العراق تتطور ملحوظ نتيجة لاسباب عديدة منها :

١- تخفيض التعرفة الكمركية العثمانية على السلع المصدرة من اراضيها عام ١٨٦١
٢- تنظيم المواصلات التجارية بين الموانئ الهندية والبصرة عام ١٨٦٢
٣- تأسيس مكاتب البريد والتلغراف في مختلف انحاء العراق
٤- فتح قناة السويس للملاحة عام ١٨٦٩ اسهم في تسهيل اتصال العراق باوربا عن طريق البصرة
٥- جهود مدحت باشا الاصلاحية (١٨٦٩-١٨٧٢) وتطوير وسائل الانتاج ووسائل المواصلات النهرية والبحرية واستيراد السفن والبواخر الملاحية .

لقد تحولت اسواق العراق في القرن التاسع عشر الى مستودعات للصناعات الغربية ، وقد سبب ذلك السيل الواسع من السلع غير الانتاجية الى تقليص انتاج الحرفيين المحليين ومن ثم توقفهم عن الانتاج وظهور تبعية الاقتصاد الرأسمالي وبخاصة الانكليزي .

التنافس الاستعماري الاوربي على العراق :

ظهر التنافس الاوربي من اجل السيطرة على العراق ومقدراته الاقتصادية بالدرجة الاولى مع بداية الضعف الذي ظهر على الدولة العثمانية وتحديدا مع بدايات القرن التاسع عشر ، اذ اخذ هذا التنافس عدة اوجه منها ما هو سياسي او اقتصادي او تنافس في مجال التنقيب عن الاثار او حتى التنافس على ارسال البعثات التبشيرية الى العراق ، واشتد التنافس ما بين ثلاث دول اوربية هي كل من بريطانيا والمانيا وفرنسا وسنتناول ذلك بالتفصيل :

التنافس البريطاني الالماني على العراق :

كان لا سقاط حكم داود باشا المعادي للمصالح البريطانية ، قد افسح المجال لتزايد لنفوذ البريطاني الى الحد الذي صرح فيه احد الضباط البريطانيين في بغداد وهو فرنسيس جنسي في تقرير كتبه في اوائل عام ١٨٣١م ، ان النفوذ البريطاني سائد في العراق ، وطالب السفير البريطاني لدى الباب العالي من الوكيل السياسي البريطاني في بغداد روبرت تايلر بأن يقدم الدعم والمساعدة لعلي رضا باشا اللاز لتوطيد حكمه في بغداد وان تقدم الحكومة البريطانية السلاح له ، وطلب من الوالي ان يتولى ضابط بريطاني قيادة جيشه.

لقداوفدت الحكومة البريطانية خلال الفترة ١٨٣٠-١٨٦٠ عدة بعثات لتقوم بأعمال المسح والتخطيط فيما بين النهرين بهدف ايجاد طريق للمواصلات بين الشرق والغرب ، فقام الضابط فرنسيس جسني بدراسة استطلاعية عن نهر الفرات وخليج البصرة استغرقت عاما كاملا ، وقدم تقريرا مفصلا لحكومته يبين فين صلاحية نهر الفرات لسير السفن التجارية فيه ، فيما اجرى احد مساعديه ويدعى هوب لنج مسحا لنهر دجلة من اعاليه الى شط العرب ، وفي عام ١٨٤٠ اسس شركة للملاحة في نهر دجلة هي شركة لنج، واجرى قائد البحرية جيمس فلكس جونز دراسة استمرت ثلاث سنوات ، وقدم تقرير لحكومة بومبي البريطانية تضمن جداول تفصيلية عن جميع ما يتصل بالأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية فضلا عن المسح الطبوغرافي لأرض العراق .

علل/ مع بداية ستينيات القرن التاسع عشر بدأ البريطانيون يتطلعون الى مد نفوذهم الى الفاو

ج/ نظرا لموقعها الاستراتيجي على الخليج العربي ، ولاتساع التجارة البريطانية في الخليج وايران ، ولكون العراق يعد من اقصر الطرق التجارية بين مستعمرات بريطانيا في الهند واروبا، واكثر امانا من طريق راس الرجاء الصالح ، وقبل افتتاح قناة السويس للوصول الى موانئ البحر المتوسط.

لذلك حاول البريطانيون من اجل ترسيخ نفوذهم في الفاو ولحماية مصالحهم فقد حاولوا الحصول على موافقة الدولة العثمانية لمد خطوط التلغراف من الهند مرورا بايران الى الفاو وانشاء محطات بريدية كان هذا الاجراء في محاولة منهم لمواجهة التغلغل الروسي في ايران ومنع وصولهم الى الخليج

العربي ، ولأجل ذلك وبعد ان وجدت بريطانيا معارضة من قبل الدولة العثمانية ارسلت سفينة حربية رست بالقرب من الفاو حتى اذار / مارس عام ١٨٩٧م بحجة حماية المصالح البريطانية وفي عام ١٩١٢ وصل خبراء بريطانيون لوضع دراسة حول الامكانيات المصرفية في العراق ، وبالفعل تم فتح المصرف الشرقي ومقره في لندن وتم فتح فرع له في بغداد وفي البصرة والموصل والعمارة وكركوك، وازداد نفوذ المصرف لدرجة ان الحكومة العثمانية كانت تعتمد عليه .

لم يقتصر النفوذ الاوربي في العراق على البريطانيين ، فسرعان ما ظهر النفوذ الالماني ، اذ بدأت المانيا تظهر على المسرح السياسي كقوة تسعى للحصول على المستعمرات ، وبدأ ساستها يصرحون علنا من اجل الحصول على المستعمرات ، فقد صرح وزير خارجيتها بيلوف انه ذهب الوقت الذي كانت فيه الشعوب الاخرى تقتسم فيما بينها الارض والمياه في حين نكتفي نحن الالمان بالسماء الزرقاء اننا نطالب انفسنا بأن يكون لنا مكان تحت الشمس ، ان ظهور المانيا على المسرح الاستعماري جاء متأخرا لان الدول الاستعمارية كانت قد سبقتها واستولت على اكثر الاسواق واغنى المستعمرات ، لذا لم يكن عليها ان تفكر في الاستيلاء على اراضي شاغرة ، بل يجب عليها انتزاع المستعمرات من الدول الاخرى .

لقد كانت الدولة العثمانية واقطار المشرق العربي على رأس اولويات المانيا التوسعية ، وكان العراق من ضمن هذه المخططات ، فقد كان الجنرال الالماني مولتكة الذي عمل خبيرا في الجيش العثماني قد نشر العديد من المقالات في الصحف الالمانية يدعوا فيها الى ان يستوطن الالمان في منطقة ازمير ووادي الفرات ومشيرا الى ما تتمتع به هذه المناطق من ثروات هائلة ، وفي عام ١٨٦٦ نشر البروفسير شبرنجر كتاب بعنوان بابل اغنى بلد في الماضي واكثر المناطق ملائمة للاستيطان في الحاضر ، اشاد فيه ببلاد ما بين النهرين وراضها ومناخها وجميع ما تمتاز به من خصائص ، ووصل العديد من المستشرقين والرحالة الالمان ووضعوا العديد من الكتب عن العراق منهم كتاب زخاو (رحلة في سوريا وما بين النهرين) وكتاب (على دجلة والفرات) والرحالة اوبنهايم الذي وضع كتاب (من البحر المتوسط الى الخليج العربي) وجميع هذه الكتب هي مسح جغرافي دقيق لارض العراق وما فيها من ثروات .

ومع مطلع القرن العشرين وتحديدا عام ١٩٠٠م حصل الالمان على اول امتياز لهم في العراق بانشاء سكة حديد بغداد برلين ، وكان هذا المشروع من اكثر المشاريع التي اقلقت بريطانية كونه يشكل البداية لزيادة النفوذ الالماني في الدولة العثمانية عامة والعراق خصوصا ، نفذ المشروع رغم معارضة بريطانيا وفرنسا وروسيا له ، لان الدولة العثمانية وجدت في تنفيذه اهمية لها اذ انه سيسهل نقل القوات العثمانية بصورة سريعة بين ارجاء الدولة العثمانية وهذا ما عارضته روسيا معارضة شديدة لم تكتفي المانيا بالحصول على امتياز سكة الحديد بل طالبت بأن تكون المناطق على جانبي السكة مناطق نفوذ المانية ، كذلك حصل الالمان على امتياز لانشاء ميناء نهري في بغداد وان تسير سفنا

في نهري دجلة والفرات والحصول على امتياز تنقيب النفط وبالفعل بدأ التنقيب عن النفط في الموصل عام ١٩٠٤م .

التنافس الفرنسي البريطاني في العراق :

اخذ التنافس الفرنسي البريطاني بعدا اخر في السيطرة على العراق ، فبعيدا عن الجانب السياسي والعسكري ، تنافس الطرفان في مجال التنقيب عن الاثار والارساليات التبشرية ، اذ ان العراق ولسنوات طويلة بقى يحظى باهتمام واعجاب الطلبة الغربين الذين درسوا التاريخ القديم والتورات ، وكانت البعثات الاثارية من ابرز الوسائل المتبعة لزيادة نفوذ الدول الاروبية ، ومنذ منتصف القرن التاسع عشر تزايد التنقيب عن الاثار العراقية والتي كانت في مجملها عمليات نبش وبحث عن القطع الاثارية الكبيرة وترك القطع الاثارية الصغيرة والتي هي عرضة للتلف ، فضلا عن ان من يقومون بالتنقيب هم من العمال المحليين الذين لا يستطيعون التمييز ما بين الجدران المبنية من الطين وما بين التراب لذلك تم ازالة معالم الابنية القديمة ، وان كثير من القطع الاثارية اتلفت بسبب اهمال تغليفها او طريقة نقلها .

بدأ التنقيب المكثف عن الاثار العراقية عام ١٨٤٢-١٨٤٣م في العواصم الاشورية في الموصل وكان معظم المنقبين هم من قناصل الدول الاجنبية ، واشتد التنافس ما بين البريطانيين والفرنسيين.

كان النشاط الاثاري الفرنسي قد بدأ منذ وقت مبكر من القرن التاسع عشر في المنطقة الشمالية ففي عام ى١٨٠١م وصل الفرنسي جان جوزيف مارسيل لغرض الاطلاع على اثار المنطقة ، كما اوفدت الحكومة الفرنسية ادريان دوبر عام ١٨٠٧ للغرض نفسه ،وفي اواخر عام ١٨٤٢م شرع القنصل الفرنسي بول اميل بوتا بفحص خرائب نينوى من فوق تل قوينجق ، وبينما كان ينقب فيه اخبره رجل من اهل خورسباد انه يستطيع ان يجد اثارا اكثر هناك ، فنقل عمله الى هناك في مطلع عام ١٨٤٣م واستطاع ان يجد كثير من القطع الاثارية المهمة في خورسباد والتي شحنها الى فرنسا ، وظهر في هذه الفترة ايضا منقب انكليزي يدعى هنري لايادر الذي وصل العراق عام ١٨٣٩م، ووصل عام ١٨٤٥م الى الموصل نقب في النمرود احدى العواصم الاشورية ووجد اثارا مهمة والواح عن معارك تعود الى عهد الملك اشور ناصر بال الثاني و شحنها الى لندن عام ١٨٤٧م واستمر عمله من عام ١٨٤٩ الى عام ١٨٥٠م في النمرود ، وبعد وصول اخباره الى الوالي العثماني امر بايقاف التنقيب في النمرود وجاء بعده المنقب الاثاري هنري راولنصون ، وجاء بعد بوتا الفرنسي المنقب الاثاري الفرنسي فكتور بلاس ، فقد قام راولنصون ومساعده هرمز رسام بالتنقيب في نينوى وحصلا على قطع اثارية مهمة ، اما بلاس فظل ينقب في منطقة خورسباد التي وجد فيها قطع اثارية مهمة ايضا.

لم يتقصر التنافس البريطاني الفرنسي في مجال التنقيب عن الاثار على مناطق شمال العراق ، بل امتد الى جنوب العراق لا سيما التلول الاثرية المعروفة بتلول الناصرية ، التي وصلها القنصل الفرنسي

في البصرة اميل دي سارزك وبدأ التنقيب فيها عام ١٨٧٧ – ١٨٧٨م ، وحصل على كميات كبيرة من الاثار السومرية ، كذلك قام هرمز رسام في التنقيب عن الاثار في نفس المنطقة التي وجد فيها سارزك الاثار ، وقام بشحن كثير من الاثار الى لندن.

الارساليات التبشرية:

وجدت البعثات التبشرية طريقها الى العراق منذ بداية القرن السابع عشر ، واعتمد المبشرون عدة اساليب في عملهم التبشيري مثل فتح الكنائس والجمعيات الخيرية والمستشفيات والمدارس والمكتبات وغيرها من الطرق ، الا انهم ركزوا وبشكل كبير على المؤسسات التعليمية .

كانت فرنسا في مقدمة الدول الاوربية التي استغلت حاجة الدولة العثمانية الى المستلزمات العسكرية في حروبها ، فكانت بداية لها لتقيم علاقات جيدة مع الدولة العثمانية ، مما يمكنها من العمل بحرية في اراضي الدولة العثمانية وبمختلف المجالات ، وقد تم منحها ما يعرف بالامتيازات من قبل الدولة العثمانية .

هذه الامتيازات التي منحتها الدولة العثمانية لفرنسا جعلت المبشرين الفرنسين تحت حماية الدولة العثمانية ، وسمحت لهم بالاقامة والتنقل دون اية مضايقات ، واستغلت فرنسا هذه الامتيازات لتوقع مع الدولة العثمانية عام ١٧٤٠ م اتفاقية اكدت فيها انها هي صاحبة الحق في حماية المبشرين وليس الدولة العثمانية على اراضيها ، وبموجب هذه الامتيازات اصحب لفرنسا ورعاياها حرية التنقل في اراضي الولايات العثمانية ومنها العراق ، واهتمت فرنسا بنشر المذهب الكاثوليكي بين مسيحي العراق الامر الذي سيمكنها من نشر اللغة والثقافة الفرنسية هناك ، فانطلقت عدة ارساليات تبشيرية وتحمل مختلف الاسماء منها الاباء الدومنيكان والكرمليون والكبوشيون وغيرها من الاسماء.

لم يكن عمل الارساليات في البداية سهلا بسبب رفض االافكار الكاثوليكية من قبل المسيحين الارثوذكس ومن اتباع الكنيسة الشرقية ، كانت ولاية البصرة اولى مناطق العراق التي شهدت بداية النشاط الفرنسي على يد الاباء الكرملين الذين جاءوا اليها عام ١٦٢٣م ، وكانوا في البداية يمارسون مهنة الطب الى جانب واجبهم الديني ، ولم يكن لهم نشاط في مجال التعليم الا مع بداية القرن العشرين اي في عام ١٩٠٢ م اذ اسسوا اول مدرستين ابتدائيتين في البصرة وفي مدينة العمارة ايضا ، وفي عام ١٩٠٦م اسسوا مدرسة للبنات كانت تشرف عليها راهبات فرنسيات، وصل النشاط التبشيري الفرنسي الى ولايتي بغداد والموصل على يد الاباء الكرملين الفرنسيين ، وقد قاموا بإنشاء مدرسة ابتدائية للبنين عام ١٧٣٧م على يد الاب عمانوئيل باييه الذي اصبح قنصلا في بغداد فيما بعد، وقد اسس الكرمليون مدرسة للبنات عام ١٨٨١م سميت المدرسة المركزية اشرفت عليها مجموعة من الراهبات، في عام ١٨٨٨م اسس الاباء الكرملين ديرا في بغداد كان يُدرس فيه عدد من الطلبة والذين

اصبح لهم شأن في مجال الادب والثقافة في بغداد ، كذلك وفي عام ١٩٠٥ افتتحوا مدرسة ثانوية في بغداد يدرس فيها خمسة مبشرين.

اما في الموصل فقد تواجدت الارساليات التبشيرية منذ بدايات القرن الثامن عشر ،ولم يكن لهم اي راهب من اصل فرنسي مما اضطرهم الى غلق ارساليتهم عام ١٧٢٤م بضغط من الكنائس الارثوذكسية ، بعد ذلك استقر الاباء الدومنيكان في الموصل عام ١٧٥٠ وكانت ارساليتهم تضم اثنان من الاباء من اصل ايطالي ، وكانا يقدمان الخدمات الطبية فضلا عن عملهم الكنسي واستمر عملهم حتى العام ١٨٥٦م ، وافتتحت الارسالية اول مدرسة ابتدائية للاباء الدومنيكان عام ١٨٥٤م في مدينة الموصل ، وكانت تدرس فيها مناهج الدراسة الفرنسية ، وشيدوا ايضا مدرستين في الموصل فضلا عن اثنتين في كركوك ، وفي عام ١٨٧٣م تم افتتاح مدرسة اخوات المحبة في الموصل وكانت تعلم البنات المسيحيات والمسلمات التطريز والخياطة ، واسس الاباء الدومنيكان مطبعة حجرية باسم مطبعة الدومنيكان ، واصدروا اول مجلة في الموصل هي مجلة اكليل الورد عام ١٩٠٢م ، واسهموا في ادخال الات التصوير الفوتوغرافي والآلات الموسيقية لاول مرة في الموصل.

كانت القنصلية البريطانية في الموصل ترعى الارساليات التبشيرية البروتستانتية الامريكية التي كانت منتشرة في العراق ، اذ ان بريطانيا كانت تفتقر للمبشرين في المنطقة ولمواجهة النشاط التبشيري الكاثوليكي الفرنسي ، لذلك زاد اعتمادها على المبشرين الامريكان من البروتستانت الى الثلث الاول من القرن التاسع عشر ، وبمرور الوقت زاد تدفق المبشرين الانكليز ومن هؤلاء جيمس ريتش الذي اصبح مقيما بريطانيا في بغداد ، وكان قدومه الى العراق بهدف القضاء على النفوذ الفرنسي في المنطقة واقام علاقات مع زعماء الطوائف المسيحية، اذ ان البريطانيين ركزوا نشاطهم على طائفة النساطرة الذين لم يتحولوا الى المذهب الكاثوليكي ،في ولاية الموصل فقد افتتح الاباء البروتستانت مدرسة ابتدائية للبنات وكانت تدرس اللغة العربية والانكليزية ودروس في الخياطة والحياكة

الحياة الاجتماعية في العراق خلال العهد العثماني :

عندما يتم الحديث عن الحياة الاجتماعية للمجتمع العراقي خلال فترة السيطرة العثمانية من الطبيعي ان يتبادر الى ذهن المستمع او القارئ الى انقسام المجتمع العراقي بين الريف وحياة البادية وبين المدن التي هي في الاساس طبيعة التركيبة للمجتمع العراقي التي لا زالت قائمة الى يومنا هذا يعني التفاوت او التنافس بين مجتمع الريف ومجتمع المدينة .

القبائل والقرى في العراق :

كانت القبائل العربية تقطن العراق حتى قبل ظهور الاسلام ، وبعد الفتح الاسلامي توجهت عشائر كثيرة من شبه الجزيرة العربية واستقرت على ضفاف الفرات ، ومن العشائر العدنانية التي استقرت هي عشائر عنزة والضفير والمنتفك وحرب وربيعة وغيرها من العشائر ، اما القبائل القحطانية التي استقرت في العراق قبائل زبيد والقبائل الطائية ، واسست تلك القبائل احلافا وامارات وقفت في وجه الغزاة والمحتلين في فترات مختلفة .

وتقسم القبائل العراقية الى قسمين :

١- **القسم الاول هي القبائل البدوية الصرفة التي كانت تعتمد على تربية الابل في معيشتها ولا تقيم في مكان ثابت بل هي في ترحال دائم بحثا عن الكلاء والماء.**

٢- **القسم الثاني هي القبائل شبه المستقرة في قرى وتعتمد في معيشتها على تربية المواشي وزراعة الارض.**

١- القبائل البدوية :

كانت ثلث العشائر تقريبا تعيش او تتجول في المناطق المطرية في شمال العراق ، بينما كانت العشائر الباقية تقطن وتسكن في وسط العراق وجنوبه حيث المناطق الاروائية ، حافظت هذه العشائر على استقلاليتها وحافظت ايضا على وجه العراق العربي وبقت مقاومة للغزاة من مغول وجلائريين وتركمان وصفويين ومنعت من توسيع نفوذهم خارج المدن ، الى سيطر العثمانيون على بغداد عام ١٥٣٤ ، الذين حاولوا جاهدين لفرض سيطرتهم واخضاع العشائر العربية لهم ولم تنجح في ذلك مما اضطر الدولة العثمانية الى مهادنتها والاستعانة بها في كثير من الامور .

كانت الزعامة في القبلية للشيخ الذي له صلاحيات واسعة في اتخاذ القرارات ومنها التحرك والانتقال من مكان لاخر ويحدد شيخ القبلية لكل اسرة مكان خيمتها كما يتم تقسيم المراعي بين افراد القبيلة على حسب اعداد ماشيتهم ويحتفظ الشيخ بالمراعي الجيدة له ، ويقع على عاتق نساء القبيلة الاعتناء بامور البيت من حلب الماشية وغزل الصوف ونصب الخيام، الخيمة في العادة كانت تقسم الى قسمين قسم للنساء وقسم للرجال ، وكانت حياة افراد القبيلة قاسية جدا ، وكانوا يترددون على المدن في السنة مرة او مرتين ليجلبوا ما يحتاجون اليه من الملابس وغيرها من الحاجات بعد مبادلتها بالمنتجات الحيوانية .

لقد اتسعت المنازعات بين القبائل في العراق في نهاية القرن التاسع عشر بسبب فشل السلطة العثمانية الضعيفة في فرض هيمنتها على العشائر العراقية ، لذا كانت القبلية الاقوى تخضع الاضعف لسلطتها ، وتقوم القبلية المحمية بدفع الاتاوة (الخوة) لمن يحميها ، لذلك ظلت القبائل القوية مثل المنتفك وبني لام والخزاعل وربيعة يشكلون وحدة سياسية كاملة حتى نهاية السيطرة العثمانية على العراق ، كذلك الحال كان بالنسبة للعشائر الكردية في شمال العراق فالعشائر القوية شكلت امارات منها الامارة الصورانية في راوندوز والامارة البابانية في السليمانية ولم تستطع هذه الامارات ان تفرض سيطرتها على الامارات القوية الاخرى.

لقد سعت الدولة العثمانية على تغير طبيعة القبائل عبر توطينهم وتوزيع الاراضي عليهم وتشجيعهم على الانتاج ، كما فعل مدحت باشا في توطين قبائل شمر في الشرقاط واقطاع الاراضي لهم من اجل السيطرة عليهم والكف عن مهاجمة القوافل التجارية التي كانت تمر باراضيهم ، وعمل السلطان عبد الحميد من اجل تعزيز الولاء القبلي للسلطنة على انشاء مدرسة للعشائر في اسطنبول وهي مدرسة داخلية خاصة لتعليم ابناء زعماء القبائل البدوية العربية وارسل اليها ابناء من شمر وربيعة وزبيد والسعدون وغيرها من العشائر العربية .

٢- القرى الزراعية :

كانت الاكثرية من سكان العراق في مختلف الفترات من الفلاحين ممن يسكنون القرى والذين يعيشون على الزراعة وتربية الحيوانات ، وارتفعت نسبة سكان الريف الى ٦٠% في اواخر العهد العثماني نظرا لاستقرار بعض القبائل البدوية واشتغالها بالزراعة ، الا ان مستوى الانتاج الزراعي ظل منخفضا ولم يرتفع ويرجع ذلك الى عدة اسباب منها

١- علاقة الفلاح بالارض وان المزارع الجديد كان قليل الخبرة وظل يميل الى التنقل

٢- تأخر اساليب الزراعة ووسائل الانتاج ورداءة طرق المواصلات وبخاصة في ايام الشتاء

٣- الزعامة في تلك القرى كانت بيد الشيخ او الاغا، وكثيرا ما كان هؤلاء يستغلون سلطاتهم بالاستيلاء على اراضي الفلاحين الصغار وبالتالي يتم السيطرة على جميع القرية تدريجيا واصبح الفلاح عاملا مأجورا للاغا او الشيخ دون ان يكون له اية حصة من ارضه.

كانت مناطق الفرات الاوسط من اكثر المناطق التي تسكنها القبائل المستقرة التي تشتغل بالزراعة نظر لطبيعة الارض هناك وسهولة اروائها فضلا عن ان القرى كانت تنتشر على طول ضفاف نهري دجلة والفرات ، وكان هناك نوعين من القرى منها القرى التي يسكن سكانها بيوت الطين او القصب ولا يتجاوز عدد سكانها الخمسين فردا والقرى الكبيرة التي تقرب معيشتها من اهل المدن الصغيرة ويتراوح عدد سكانها بضع مئات وتحولت تدريجيا الى مراكز لبعض الاعمال التجارية (بيع وشراء) يتردد عليها سكان القرى الصغيرة للتبضع خصوصا في مواسم الحصاد وجني المحاصيل .

ان طبقة صغيرة من الاغوات والشيوخ كانت هي صاحبة النفوذ والهيمنة والتي كانت تستغل موارد البلاد من اجل زيادة ثروتها وسيطرتها ، في حين كان الفلاحون يعيشون ظروف اقتصادية سيئة ولا تحصل على ابسط حاجاتها من مسكن وطعام وشراب او تعليم ، مما ادى الى ان يكون مستواهم المعاشي دون المستوى المطلوب ، وان اثار الوضع المعاشي السئ كانت واضح على الفلاحين بصورة عامة وعلى مختلف مراحل الغزوات والاحتلال الاجنبي من المغول الى العثمانيين.

مدن العراق في العهد العثماني:

اصبح العراق مع مطلع القرن السادس عشر ساحة للصراع بين دولتين قويتين هما الدولة العثمانية والدولة الصفوية مما ساهم في تدهور اوضاع المدن العراقية بشكل عام وساهم ذلك الوضع ايضا في بروز دور القبيلة وانحسار دور المدن الحضاري والاداري لم يكن للعثمانيين رصيد حضاري يعملوا من خلاله على تطوير المدن وابقوا على الاوضاع كما هي قبل سيطرتهم على البلاد ، ودون تغير في جوهر العلاقات الاجتماعية والاقتصادية ، وان السلاطين العثمانيين الاوائل كان يعتبرون المدن بمثابة قلعة او حصن مهمتها الحفاظ على اراضي السلطان، ومركزا لجمع الضرائب وارسالها الى اسطنبول ، وعلى هذا الاساس ابقت على الوضع القائم كما هو دون تغير ، فقد ابقى السلطان سليم الاول مدن شمالي العراق بيد الزعامات القبلية والامراء الاكراد

وكذلك الحال بالنسبة للسلطان سليمان القانوني ابقى على الوضع في المدن دون تغير فيه خصوصا مدن شمال العراق ، وكذلك الحال بالنسبة لمدن جنوب العراق التي ظلت مسيطرة عليها القبائل ، فالبصرة ظلت بيد زعيم قبلية المنتفك بعد ان قدم ولائه وطاعته للسلطان العثماني عام ١٥٥٣ ، على الرغم من اهمية البصرة سياسيا واقتصاديا، وتركت مدن كثيرة بيد زعما القبائل في جنوب العراق والاكتفاء باعلان الولاء الشكلي للسلطان العثماني ، هذا الوضع بالنسبة للمدن والمتمثل بسيطرة ونفوذ العشائر عليها ساهم في تردي الخدمات واهمال للاراضي التي حولها مما ادى الى هجرة سكانها واندثار كثير منها ، كما في حال مدينة واسط اذ ادى اهمال مشاريع الري الى ابتعاد نهر دجلة عنها لتغدو مدينة في وسط البرية مما ادى الى هجرة كثير من سكانها ، وكذلك الحال بالنسبة للنجف التي هجرها سكانها لنفس الاسباب .

في مطلع القرن السابع عشر برز اهتمام العثمانيون بالمدن العراقية ومحاولة اقامة نظام شبه مركزي والسيطرة عليها واعادة بناء الاسوار والقلاع فيها خشية من هجوم الايرانيين عليها بين فترة واخرى فبرز الاهتمام بالمدن الرئيسية الثلاث بغداد والموصل والبصرة وان هذا التطور والنمو يمكن ان نحدده بعدة عوامل منها .

١- العامل الاداري :

ان ازدياد اهمية الحكومات المحلية ومحاولاتها العديدة لفرض سيادتها الادارية على الريف اظهرت لدى السكان ميولا واضحة للتجمع حول المراكز الحكومية ، فاصبحت بغداد على عهد حسن باشا وابنه احمد باشا وهما اول من استخدم المماليك في تعزيز سلطة الدولة وقيام حكومة مركزية تأخذ على عاتقها توحيد العراق والسيطرة عليه واصحبت بغداد مركزا اداريا ومقرا لاكبر سلطة ادارية ، كذلك الحال بالنسبة للسليمانية التي استطاعت الاسرة البابانية عام ١٧٨٢من جعلها مركزا اداريا نمت حولها المرافق الادارية والاسواق ومدارس علمية وخانات ، وتعتبر الديوانية على نهر الفرات من المدن التي نشأت بدافع اداري حكومي ، وانها كانت في بداية الامر كدار ضيافة لرؤساء الخزاعل ، ليقيم فيها وكيلهم لجباية الضرائب الا ان المماليك اتخذوها مركزا اداريا لهم ، هذا يدل على ان العاملين الاداري والسياسي ساهما في نشوء المدن وقيامها .

٢- العامل التجاري :

ان استقرار الاوضاع السياسية ونمو المدن حضاريا ساهم في نشاط الاوضاع الاقتصادية ، وظهر تفاوت بين انتاج القرى القائم على الانتاج الزراعي وبين انتاج المدن القائم على الصناعة والتجارة ، ازدادت الحركة التجارية التي ساهمت في نشوء بعض المدن منها مدينة سوق الشيوخ التي ما زال اسمها يدل على الوظيفة التي كانت اساس وجودها ، اذا ان شيوخ ال السعدون وهم من شيوخ المنتفك اخذوا يترددون على هذه السوق التي كانت موسمية ونسبة تسميتها اليهم .

ان نمو الاسواق التجارية وباعتبارها مراكز تبادل تجاري بين الريف ، مما ادى الى احياء الطرق التجارية القديمة وتأمينها ضد اللصوص والمعتدين ، وانشاء الخانات اللازمة لمبيت واقامة التجار ، فكان طبيعيا ان تنشأ بعض المدن حول تلك الخانات ، مثل مدينة اربيل التي ارتبطت مع مدن العراق بعدة طرق تجارية ، كذلك الحال بالنسبة لمدينة الكوت التي اصبحت مرفأ لاستراحة الملاحين لموقعها على نهر دجلة واستطاعت هذه المدينة من ان تثبت وجودها سياسيا واقتصاديا واجتماعيا .

رافق نشوء المدن وتزايدها تزايد الخدمات المرتبطة بها فانتشرت الخانات والمحطات على مختلف الطرق ، لاسيما في الاماكن البعيدة عن المدن ، اذ تحدث الرحالة عن الخانات في بغداد التي كانت مكان لمبيت التجار وخزن بضائعهم فيها ، فضلا عن وجود الخانات على طريق النجف لإيواء زوار العتبات المقدسة والتجار ايضا وكانت تلك الخانات تحوي ما يقرب من خمسمائة شخص او اقل من هذا العدد من هذه الخانات خان الكهيا في جنوب بغداد وخان الاسكندرية وخان المحمودية وخان بني سعد الذي انشأه والي بغداد عمر باشا عام ١٦٨٨ وتحولت معظم هذه الخانات في اوائل القرن التاسع عشر الى قرى ومدن تجارية مهمة .

الحياة الاجتماعية في العراق خلال العهد العثماني :

عندما يتم الحديث عن الحياة الاجتماعية للمجتمع العراقي خلال فترة السيطرة العثمانية من الطبيعي ان يتبادر الى ذهن المستمع او القارئ الى انقسام المجتمع العراقي بين الريف وحياة البادية وبين المدن التي هي في الاساس طبيعة التركيبة للمجتمع العراقي التي لا زالت قائمة الى يومنا هذا يعني التفاوت او التنافس بين مجتمع الريف ومجتمع المدينة .

القبائل والقرى في العراق :

كانت القبائل العربية تقطن العراق حتى قبل ظهور الاسلام ، وبعد الفتح الاسلامي توجهت عشائر كثيرة من شبه الجزيرة العربية واستقرت على ضفاف الفرات ، ومن العشائر العدنانية التي استقرت هي عشائر عنزة والضفير والمنتفك وحرب وربيعة وغيرها من العشائر ، اما القبائل القحطانية التي استقرت في العراق قبائل زبيد والقبائل الطائية ، واسست تلك القبائل احلافا وامارات وقفت في وجه الغزاة والمحتلين في فترات مختلفة .

وتقسم القبائل العراقية الى قسمين :

١- **القسم الاول هي القبائل البدوية الصرفة التي كانت تعتمد على تربية الابل في معيشتها ولا تقيم في مكان ثابت بل هي في ترحال دائم بحثا عن الكلاء والماء.**

٢- **القسم الثاني هي القبائل شبه المستقرة في قرى وتعتمد في معيشتها على تربية المواشي وزراعة الارض.**

١- القبائل البدوية :

كانت ثلث العشائر تقريبا تعيش او تتجول في المناطق المطرية في شمال العراق ، بينما كانت العشائر الباقية تقطن وتسكن في وسط العراق وجنوبه حيث المناطق الاروائية ، حافظت هذه العشائر على استقلاليتها وحافظت ايضا على وجه العراق العربي وبقت مقاومة للغزاة من مغول وجلائريين وتركمان وصفويين ومنعت من توسيع نفوذهم خارج المدن ، الى سيطر العثمانيون على بغداد عام ١٥٣٤ ، الذين حاولوا جاهدين لفرض سيطرتهم واخضاع العشائر العربية لهم ولم تنجح في ذلك مما اضطر الدولة العثمانية الى مهادنتها والاستعانة بها في كثير من الامور .

كانت الزعامة في القبلية للشيخ الذي له صلاحيات واسعة في اتخاذ القرارات ومنها التحرك والانتقال من مكان لاخر ويحدد شيخ القبلية لكل اسرة مكان خيمتها كما يتم تقسيم المراعي بين افراد القبيلة على حسب اعداد ماشيتهم ويحتفظ الشيخ بالمراعي الجيدة له ، ويقع على عاتق نساء القبيلة الاعتناء بامور البيت من حلب الماشية وغزل الصوف ونصب الخيام، الخيمة في العادة كانت تقسم الى قسمين قسم للنساء وقسم للرجال ، وكانت حياة افراد القبيلة قاسية جدا ، وكانوا يترددون على المدن في السنة مرة او مرتين ليجلبوا ما يحتاجون اليه من الملابس وغيرها من الحاجات بعد مبادلتها بالمنتجات الحيوانية .

لقد اتسعت المنازعات بين القبائل في العراق في نهاية القرن التاسع عشر بسبب فشل السلطة العثمانية الضعيفة في فرض هيمنتها على العشائر العراقية ، لذا كانت القبلية الاقوى تخضع الاضعف لسلطتها ، وتقوم القبلية المحمية بدفع الاتاوة (الخوة) لمن يحميها ، لذلك ظلت القبائل القوية مثل المنتفك وبني لام والخزاعل وربيعة يشكلون وحدة سياسية كاملة حتى نهاية السيطرة العثمانية على العراق ، كذلك الحال كان بالنسبة للعشائر الكردية في شمال العراق فالعشائر القوية شكلت امارات منها الامارة الصورانية في راوندوز والامارة البابانية في السليمانية ولم تستطع هذه الامارات ان تفرض سيطرتها على الامارات القوية الاخرى.

لقد سعت الدولة العثمانية على تغير طبيعة القبائل عبر توطينهم وتوزيع الاراضي عليهم وتشجيعهم على الانتاج ، كما فعل مدحت باشا في توطين قبائل شمر في الشرقاط واقطاع الاراضي لهم من اجل السيطرة عليهم والكف عن مهاجمة القوافل التجارية التي كانت تمر باراضيهم ، وعمل السلطان عبد الحميد من اجل تعزيز الولاء القبلي للسلطنة على انشاء مدرسة للعشائر في اسطنبول وهي مدرسة داخلية خاصة لتعليم ابناء زعماء القبائل البدوية العربية وارسل اليها ابناء من شمر وربيعة وزبيد والسعدون وغيرها من العشائر العربية .

٢- القرى الزراعية :

كانت الاكثرية من سكان العراق في مختلف الفترات من الفلاحين ممن يسكنون القرى والذين يعيشون على الزراعة وتربية الحيوانات ، وارتفعت نسبة سكان الريف الى ٦٠% في اواخر العهد العثماني نظرا لاستقرار بعض القبائل البدوية واشتغالها بالزراعة ، الا ان مستوى الانتاج الزراعي ظل منخفضا ولم يرتفع ويرجع ذلك الى عدة اسباب منها

١- علاقة الفلاح بالارض وان المزارع الجديد كان قليل الخبرة وظل يميل الى التنقل

٢- تأخر اساليب الزراعة ووسائل الانتاج ورداءة طرق المواصلات وبخاصة في ايام الشتاء

٣- الزعامة في تلك القرى كانت بيد الشيخ او الاغا، وكثيرا ما كان هؤلاء يستغلون سلطاتهم بالاستيلاء على اراضي الفلاحين الصغار وبالتالي يتم السيطرة على جميع القرية تدريجيا واصبح الفلاح عاملا مأجورا للاغا او الشيخ دون ان يكون له اية حصة من ارضه.

كانت مناطق الفرات الاوسط من اكثر المناطق التي تسكنها القبائل المستقرة التي تشتغل بالزراعة نظر لطبيعة الارض هناك وسهولة اروائها فضلا عن ان القرى كانت تنتشر على طول ضفاف نهري دجلة والفرات ، وكان هناك نوعين من القرى منها القرى التي يسكن سكانها بيوت الطين او القصب ولا يتجاوز عدد سكانها الخمسين فردا والقرى الكبيرة التي تقرب معيشتها من اهل المدن الصغيرة ويتراوح عدد سكانها بضع مئات وتحولت تدريجيا الى مراكز لبعض الاعمال التجارية (بيع وشراء) يتردد عليها سكان القرى الصغيرة للتبضع خصوصا في مواسم الحصاد وجني المحاصيل .

ان طبقة صغيرة من الاغوات والشيوخ كانت هي صاحبة النفوذ والهيمنة والتي كانت تستغل موارد البلاد من اجل زيادة ثروتها وسيطرتها ، في حين كان الفلاحون يعيشون ظروف اقتصادية سيئة ولا تحصل على ابسط حاجاتها من مسكن وطعام وشراب او تعليم ، مما ادى الى ان يكون مستواهم المعاشي دون المستوى المطلوب ، وان اثار الوضع المعاشي السئ كانت واضح على الفلاحين بصورة عامة وعلى مختلف مراحل الغزوات والاحتلال الاجنبي من المغول الى العثمانيين.

مدن العراق في العهد العثماني:

اصبح العراق مع مطلع القرن السادس عشر ساحة للصراع بين دولتين قويتين هما الدولة العثمانية والدولة الصفوية مما ساهم في تدهور اوضاع المدن العراقية بشكل عام وساهم ذلك الوضع ايضا في بروز دور القبيلة وانحسار دور المدن الحضاري والاداري لم يكن للعثمانيين رصيد حضاري يعملوا من خلاله على تطوير المدن وابقوا على الاوضاع كما هي قبل سيطرتهم على البلاد ، ودون تغير في جوهر العلاقات الاجتماعية والاقتصادية ، وان السلاطين العثمانيين الاوائل كان يعتبرون المدن بمثابة قلعة او حصن مهمتها الحفاظ على اراضي السلطان، ومركزا لجمع الضرائب وارسالها الى اسطنبول ، وعلى هذا الاساس ابقت على الوضع القائم كما هو دون تغير ، فقد ابقى السلطان سليم الاول مدن شمالي العراق بيد الزعامات القبلية والامراء الاكراد

وكذلك الحال بالنسبة للسلطان سليمان القانوني ابقى على الوضع في المدن دون تغير فيه خصوصا مدن شمال العراق ، وكذلك الحال بالنسبة لمدن جنوب العراق التي ظلت مسيطرة عليها القبائل ، فالبصرة ظلت بيد زعيم قبلية المنتفك بعد ان قدم ولائه وطاعته للسلطان العثماني عام ١٥٥٣ ، على الرغم من اهمية البصرة سياسيا واقتصاديا، وتركت مدن كثيرة بيد زعما القبائل في جنوب العراق والاكتفاء باعلان الولاء الشكلي للسلطان العثماني ، هذا الوضع بالنسبة للمدن والمتمثل بسيطرة ونفوذ العشائر عليها ساهم في تردي الخدمات واهمال للاراضي التي حولها مما ادى الى هجرة سكانها واندثار كثير منها ، كما في حال مدينة واسط اذ ادى اهمال مشاريع الري الى ابتعاد نهر دجلة عنها لتغدو مدينة في وسط البرية مما ادى الى هجرة كثير من سكانها ، وكذلك الحال بالنسبة للنجف التي هجرها سكانها لنفس الاسباب .

في مطلع القرن السابع عشر برز اهتمام العثمانيون بالمدن العراقية ومحاولة اقامة نظام شبه مركزي والسيطرة عليها واعادة بناء الاسوار والقلاع فيها خشية من هجوم الايرانيين عليها بين فترة واخرى فبرز الاهتمام بالمدن الرئيسية الثلاث بغداد والموصل والبصرة وان هذا التطور والنمو يمكن ان نحدده بعدة عوامل منها .

١- العامل الاداري :

ان ازدياد اهمية الحكومات المحلية ومحاولاتها العديدة لفرض سيادتها الادارية على الريف اظهرت لدى السكان ميولا واضحة للتجمع حول المراكز الحكومية ، فاصبحت بغداد على عهد حسن باشا وابنه احمد باشا وهما اول من استخدم المماليك في تعزيز سلطة الدولة وقيام حكومة مركزية تأخذ على عاتقها توحيد العراق والسيطرة عليه واصحبت بغداد مركزا اداريا ومقرا لاكبر سلطة ادارية ، كذلك الحال بالنسبة للسليمانية التي استطاعت الاسرة البابانية عام ١٧٨٢من جعلها مركزا اداريا نمت حولها المرافق الادارية والاسواق ومدارس علمية وخانات ، وتعتبر الديوانية على نهر الفرات من المدن التي نشأت بدافع اداري حكومي ، وانها كانت في بداية الامر كدار ضيافة لرؤساء الخزاعل ، ليقيم فيها وكيلهم لجباية الضرائب الا ان المماليك اتخذوها مركزا اداريا لهم ، هذا يدل على ان العاملين الاداري والسياسي ساهما في نشوء المدن وقيامها .

٢- العامل التجاري :

ان استقرار الاوضاع السياسية ونمو المدن حضاريا ساهم في نشاط الاوضاع الاقتصادية ، وظهر تفاوت بين انتاج القرى القائم على الانتاج الزراعي وبين انتاج المدن القائم على الصناعة والتجارة ، ازدادت الحركة التجارية التي ساهمت في نشوء بعض المدن منها مدينة سوق الشيوخ التي ما زال اسمها يدل على الوظيفة التي كانت اساس وجودها ، اذا ان شيوخ ال السعدون وهم من شيوخ المنتفك اخذوا يترددون على هذه السوق التي كانت موسمية ونسبة تسميتها اليهم .

ان نمو الاسواق التجارية وباعتبارها مراكز تبادل تجاري بين الريف ، مما ادى الى احياء الطرق التجارية القديمة وتأمينها ضد اللصوص والمعتدين ، وانشاء الخانات اللازمة لمبيت واقامة التجار ، فكان طبيعيا ان تنشأ بعض المدن حول تلك الخانات ، مثل مدينة اربيل التي ارتبطت مع مدن العراق بعدة طرق تجارية ، كذلك الحال بالنسبة لمدينة الكوت التي اصبحت مرفأ لاستراحة الملاحين لموقعها على نهر دجلة واستطاعت هذه المدينة من ان تثبت وجودها سياسيا واقتصاديا واجتماعيا .

رافق نشوء المدن وتزايدها تزايد الخدمات المرتبطة بها فانتشرت الخانات والمحطات على مختلف الطرق ، لاسيما في الاماكن البعيدة عن المدن ، اذ تحدث الرحالة عن الخانات في بغداد التي كانت مكان لمبيت التجار وخزن بضائعهم فيها ، فضلا عن وجود الخانات على طريق النجف لإيواء زوار العتبات المقدسة والتجار ايضا وكانت تلك الخانات تحوي ما يقرب من خمسمائة شخص او اقل من هذا العدد من هذه الخانات خان الكهيا في جنوب بغداد وخان الاسكندرية وخان المحمودية وخان بني سعد الذي انشأه والي بغداد عمر باشا عام ١٦٨٨ وتحولت معظم هذه الخانات في اوائل القرن التاسع عشر الى قرى ومدن تجارية مهمة .

السيطرة العثمانية على العراق ١٥١٤- ١٩١٨م :

تعد فترة سيطرة او الاحتلال العثماني للعراق من اهم الفترات في تاريخ العراق الحديث والتي استمرت لما يقرب من اربعة قرون وشهدت خلالها صراع وتنافس قوي ما بين العثمانيين والصفويين للسيطرة على العراق لذا لابد من الوقوف ودراسة هذه الفترة ومعرفة اهم الاحداث التي حدثت فيها بدا من نشوء الدولة العثمانية وتوسعها ودخولها في الصراع مع الصفويين واهم الممالك التي ظهرت في عهدها ثم ضعفها وهزيمتها في الحرب العالمية الاولى ١٩١٤- ١٩١٨م .

نشوء الدولة العثمانية:

يحيط الغموض بأصل العثمانيين نظرا لغياب المصادر عن تاريخهم ولم تكن هنالك سجلات مكتوبة قبل فتح القسطنطينية عام ١٤٥٣م ، الرواية التاريخية السائدة بين المؤرخين تقول ان العثمانيين ينتسبون الى احدى قبائل الغز التركية ، وان سليمان شاه زعيم احدى هذه القبائل وهي قبيلة قايي خان نزحت من اواسط اسيا وحكمت منطقة ماهان في ايران في اواخر القرن الثاني عشر الميلادي ، وهرب امام الزحف المغولي ومعه الالاف من اتباعه حتى لا يواجه الموت واستقر بالقرب من بحيرة وان في ارمينيا ، اراد سليمان شاه العودة الى ايران فسار الى قلعة جعبر واثناء عبوره نهر الفرات غرق في النهر عام ١٢٣١م ، وانقسمت القبيلة بين ابنائه الاربعة فمنهم من فضل العودة الى ايران والدخول في طاعة المغول ، بينما فضل ارطغرل (١٢٣١-١٢٨٨) التوجه غربا مع من بقي معه من القبيلة واسم ارطغرل (يعني الرجل ذو القلب الابيض) ، بينما كان ارطغرل مع اربعمئة فارس يبحثون عن منطقة ليستقروا فيها ، شاهد معركة بين جيشين لا يعرفهما وبينما كانت المعركة تظهر انتصار احد الجيشين طلب ارطغرل من اتباعة نصرة الجيش المهزوم وانقذه من الهزيمة كان ذلك جيش سلطان دولة السلاجقة علاء الدين السلجوقي فمنحه كمكافأة له اقطاع على الحدود البيزنطية . ومنحه لقب محافظ الحدود .

بعد وفاة ارطغرل تولى زعامة القبيلة ابنه عثمان الذي ينسب اليه تسمية العثمانيين ، وتتحدث الروايات التاريخية عن اعتناق عثمان للاسلام ، وانه اعلن استقلال اراضيه عن سيطرة السلطان السلجوقي واتخذ لنفسه لقب باد شاه اي السلطان كدلالة على قيام دولته التي توسعت حدودها على حساب الدولة البيزنطية .

التوسع العثماني باتجاه العراق ١٥١٤- ١٥٣٤

بدايات الصراع الصفوي العثماني:

لقد تطورت العلاقات الصفوية العثمانية واتخذت شكلا تصاعديا ووصلت الى حد الصدام المسلح، لقد سادت العلاقات بين الطرفين نوع من الهدوء بعد القضاء على دولة الاق قوينلو من قبل الصفويين كما

ذكرنا سابقا ، اذا ان السلطان بايزيد الثاني (١٤٤٧-١٥١٢)الذي خلف اباه السلطان محمد الفاتح (١٤٣٢-١٤٨١) كان بطبعه ميالا الى المسالمة ولم يقكر في اية فتوحات لا على الجبهة الشرقية او على الجبهة الغربية لذا لم يقدم المساعدة لحاكم الاق قوينلو في حربه ضد الشاه اسماعيل ، لكنه كان حذرا ويراقب تحركات الصفويين باتجاه الغرب ومحاولة الصفويين االتفاوض مع المماليك في بلاد الشام ومصر ضد العثمانيين ، بدأت العلاقات بين الطرفين تسوء بعد قضاء الصفويين على دولة الاق قوينلو ومحاولة كل منهما الحصول على حصته من املاكهم .

س / التنافس والصراع ما بين الدولتين كان نتيجة لعدة عوامل منها:

العامل السياسي : شكل وجود الدولة الصفوية عائقا سياسيا امام العثمانيين ، فمن المعروف ان الاناضول هي امتداد طبيعي لايران واسيا الوسطى ، وان قيام الدولة الصفوية في ايران قد شكلت حاجزا ومنعت المهاجرين التركمان ذو الاصول الاسيوية من الوصول الى الدولة العثمانية التي كانت تعتمد عليهم في جيشها ، فضلا عن ان السلطان سليم الاول كان يدرك جيدا ما يشكله الصفويين من خطر على الدولة العثمانية ، وكان شديد الكره للشاه اسماعيل وتحركاته.

العامل الاقتصادي: لقد سعى السلطان سليم الاول الى الوصول الى الهند والسيطرة على طرق التجارة كذلك شهد عهده تطور المهن والحرف مما جعل متطلبات الدولة في الحصول على المواد الاولية تزداد فضلا عن زيادة الطلب في اوربا على البضائع الشرقية دفع السلطان سليم الى السيطرة على الطرق التجارية الشمالية ، ورغبته في منع الصفويين من الاستفادة من المواد الخام التي تدخل في صناعة الاسلحة مثل الحديد والنحاس التي اشتهرت بها الاناضول ، وفرض حصارا على تجارة الحرير التي تمر بالاراضي العثمانية الى الدولة الصفوية .

العامل الديني: ان الاختلاف المذهبي ما بين الدولتين جعل كل منهما يفكر في الخشية من قيام الطرف الاخر باضطهاد اتباعهم من كلا المذهبين ولتجنب هذا الامر لا بد من التحرك لاي منهما لانقاذ اتباعهم الشاه اسماعيل الصفوي دعا الى التشيع واتباع مذهب الاثني عشر و في بعض مناطق ايران والعراق كان قد فرض عليهم التشيع مما اقلق العثمانيين ، وكذلك الحال في الاراضي العثمانية لاتباع الدولة الصفوية الذين اعلنوا ولائهم وتبعيتهم للشاه اسماعيل الصفوي خصوصا القبزل باش في الاناضول فتمت ملاحقتهم من قبل العثمانيين مما اثار حفيظة كل منهما للدفاع عن اتباعه .

معركة جالديران عام ١٥١٤م :

تقدم السلطان سليم الاول عبر الاناضول بجيش قوامه ١٤٠ الف مقاتل في حين بلغ عدد الجيش الصفوي ما يقرب من عشرين الفا فضلا عن ان عدم التكافئ في التسليح مما اجبر الشاه اسماعيل على الانسحاب الى شمالي ايران من اجل جر العثمانيين للقتال في الاراضي الجبلية ، وفي اواسط اب قرر

السلطان سليم مهاجمة تبريز عاصمة الصفويين لأرغام الشاه على القتال دفاعا عن عاصمته ، لكن الشاه اسماعيل فضل الانسحاب على مواجهة الجيش العثماني ، ضغط قوات القزل باش على الشاه اسماعيل اجبرته على القتال وعدم التراجع والانسحاب ، وفي يوم ٢٣ آب / اغسطس عام ١٥١٤م وقعت المعركة الفاصلة في سهل جالديران انتهت بانتصار السلطان سليم ومقتل الالاف من القزل باش وتمكن الشاه اسماعيل من الهرب بعد اصابته بجروح خطيرة.

ضم السلطان سليم الى دولته ديار بكر وكردستان واحتل تبريز ونقل الفا من ابرز تجارها وحرفيها الى الاستانة للاستفادة من خبراتهم ، لم تدم سيطرة السلطان سليم على تبريز طويلا فقد استعادها الصفويين المدينة فضلا عن ان نقص التموين وفصل الشتاء القارص اجبر العثمانيين على سحب قواتهم.

س / تعد معركة جالديران منعطف تاريخي في العلاقة ما بين الصفويين والعثمانيين الصفوي :

ج / ان الانتصار العثماني على الصفويين مكنتهم من توسيع دولتهم وضم الاناضول اليهم وجعل ديار بكر وارضروم ووان قواعد عسكرية تنطلق منها قواتهم باتجاه ايران والعراق ، فضلا عن اعلان الامراء الاكراد في شمال العراق الذين كانوا خاضعين للسيطرة الصفوية بالانضمام الى الدولة العثمانية جعل الطريق مفتوحا لضم باقي الاراضي والقلاع الى ممتلكات الدولة العثمانية.

في عام ١٥١٨م توجه العثمانيون نحو تعزيز وجودهم العسكري في المناطق الغربية من العراق بعد ان خضعت لهم منطقة الاناضول وشمال العراق ، فسيطروا على مدينتي عانه وهيت الواقعتين الى الشمال الغربي من بغداد التي كانت لاتزال تحت الحكم الصفوي ، وبهذا فقد اتم العثمانيون المرحلة الاولى من سيطرتهم على العراق فقد ضموا اجزاء واسعة من الجزيرة شملت الموصل وسنجار وتكريت وصولا الى المناطق الغربية من العراق ، بينما ظلت المناطق الشمالية الشرقية خارجة عن سيطرة العثمانيين وبيد الصفويين لتبدأ المرحلة الثانية من السيطرة العثمانية على العراق في عهد السلطان سليمان القانوني (١٤٩٤-١٥٦٠)

عرف / العثمانيون : وهم من قبائل الغز التركية التي كانت تسكن اواسط اسيا ينسبون الى جدهم الاول عثمان بن ارطغرل المؤسس الاول لدولتهم على حساب دولة السلاجقة.

عرف / معركة جالديران : وهي المعركة التي وقعت في ٢٣ اب / اغسطس عام ١٥١٤ م بين العثمانيين بقيادة السلطان سليم الاول والصفويين بقيادة الشاه اسماعيل الصفوي انتهت بانتصار العثمانيين وهزيمة الصفويين .

فراغات:

حدثت معركة جالديران عام ١٥١٤ بين العثمانيين و الصفويين

عوامل النهضة في العراق:

يعد عصر النهضة الذي بدأت بوادره تظهر في المنطقة العربية ومنها العراق مع مطلع القرن التاسع عشر ونتيجة لعدة عوامل لعل من ابرزها وصول مظاهر الحياة الاوربية الى المنطقة العربية عن طريق القناصل والبعثات الاوربية ، فضلا ظهور طبقة من المثقفين العرب التي كان لها دور بارز في التحديث من خلال دراستهم سواء اسطنبول او في بعض البلدان الاوربية ، مما ساهم في بلورة الوعي الثقافي والفكري لدى العرب واخذت نتائجه تظهر من خلال عدة مجالات منها التعليم والطابعة والصحافة التي كان لها دور حقيقي وفعال في ذلك وسنتناولها في ما يخص تأثيرها على العراق تباعا:

اولا : التعليم في العراق :

كانت البدايات الاولى للتعليم في العراق يتمثل بالكتاتيب والمدارس الدينية التي اقتصر التعليم فيها على تعليم قراءة وحفظ القران الكريم مع تعليم القواعد الاساسية للغة العربية دون تناول باقي العلوم المهمة كالرياضيات والجغرافية وغيرها من العلوم ، واصبحت هذه المدارس فيما بعد اساس لتطوير المؤسسات التعليمة الحديثة بعد ان خرجت العديد من العلماء والمفكرين الذين كان لهم الدور البارز في تطوير المؤسسات التعليمية .

حرصت الدولة العثمانية منذ النصف الثاني من القرن الثامن عشر على القيام بالعديد من الاصلاحات وفي مختلف المجالات والمؤسسات لاسيما التعليمية منها ، ان حركت الاصلاحات العثمانية لم تترك اثرا واضحا لها في العراق الا في عهد الوالي مدحت باشا والتي سبق وان ذكرناها وفي مجملها لم تكن الا البدايات الاولى لوضع اسس نظام التعليم الرسمي الحديث في العراق ففي العام ١٨٧٣م اسس الوالي رديف باشا (١٨٧٣-١٨٧٤) اول مدرسة اعدادية زودت بمدرسين معظمهم من ضباط الجيش ، اما المدارس الابتدائية فإنها لم تنل الاهتمام الكافي بسبب قلة التخصيصات المالية ونقص اعداد المعلمين آنذاك ساهم في عدم تطورها وانتشارها.

لقد حظي التعليم منذ العام ١٨٨٠م باهتمام ملحوظ وتأسست بضعة مدارس خارج بغداد وتم تأسيس مجالس للمعارف ضمت مديرا للمعارف وبضعة موظفين ومحاسب وامين صندوق ، مع مطلع العام ١٨٨٩م تم انشاء عدد من المدارس الابتدائية بعد ان ادرك المسؤولون ان هذه المدارس هي الركيزة الاساسية في نظام التعليم فتم افتتاح اربع مدارس ابتدائية في بغداد وبضعة مدارس في الموصل والبصرة ، كما تأسست في هذه الفترة مدارس خاصة اهلية واجنبية منها تلك التي اسستها المؤسسات التبشيرية وزاد اقبال الاهالي على ادخال ابنائهم فيها بعد ان ادخلت ضمن مناهجها اللغة العربية والعلوم الحديثة ، وكانت هذه المدارس تتلقى الدعم المالي من فرنسا وبريطانيا على وجهة الخصوص على الرغم ما فيها سلبيات الا انها اسهمت في دفع الحركة التعليمية في العراق والتعريف بمنجزات الحضارة الغربية الحديثة .

في العام ١٨٩٩م تم تأسيس اول مدرسة رشيدية حديثة للبنات في بغداد وكان فيها ٨٩ طالبة وافتتحت مدارس مماثلة لها في بغداد والبصرة ، وكانت المناهج فيها تشمل اللغة العربية وتعليم القران الكريم واللغات التركية والفرنسية ، فضلا عن تدريب الطالبات على التطريز والخط ، كان هناك صعوبة في توفير المعلمات خاصة فيما يخص تدريس اللغات فاستعانت السلطات التعليمية بزوجات الضباط والموظفين الاتراك والاجانب في تدريس الطالبات .

اما الحدث الثاني الذي ساهم في تطوير التعليم هو انشاء دور المعلمين في بغداد والموصل والبصرة من اجل زيادة عدد المعلمين بعد التوسع والتطور الذي شهده التعليم الابتدائي ، كانت مدة الدراسة في دار المعلمين ثلاث سنوات بعد المرحلة الرشيدية وزيدت فيما بعد لتصبح اربع سنوات ، وتم في عام ١٩٠٨م افتتاح كلية الحقوق ، بعد شعرت السلطات بحاجتها الى الكوادر الحقوقية والادارية ، بعد الانقلاب الدستوري الذي حدث في الدولة العثمانية في ٢٣ تموز / يوليو عام ١٩٠٨م والذي قادته جماعة الاتحاد والترقي ، تراجع الاهتمام بإنشاء مدارس حديثة ، خاصة اذا ما علمنا ان جماعة الاتحاد والترقي اتخذت من المدارس وسيلة لنشر افكارهم وثقافتهم لا سيما سياسة التتريك اي احلال اللغة التركية محل اللغة العربية وتم تطبيق هذه السياسية في جميع البلدان العربية ومنها العراق ، لذلك وجد الاهالي بضرورة المحافظة على اللغة العربية والتراث العربي ولا يتم ذلك الا من خلال الاهتمام بالتعليم والمؤسسات التعليمية وبعث الكيان القومي العربي ، ونشط في هذا المجال الكثير من الضباط والمثقفين الذي تصدوا لممارسات واساليب جماعة الاتحاد والترقي ، فتم اعادة الاهتمام بالمدارس ونشر الوعي والثقافة العربية فيها فتم تأسيس العديد من المدارس ابتدائية للبنات في بغداد والسماوة وكربلاء والنجف والحلة والديوانية ، وتم تأسيس مدرستي تذكار الحرية والترقي الجعفري العثماني في بغداد .

اتسعت المطاليب الشعبية بالاهتمام بالتعليم وكان للصحافة دور في اثارة هذه المطاليب لاسيما جعل اللغة العربية اللغة الوحيدة للتدريس في المدارس ، مما دفع بالسلطات العثمانية الى اتخاذ بعض الاجراءات لرفع مستوى التعليم في العراق منها غلق الكتاتيب ونقل تلاميذها الى المدارس النظامية ، كانت المؤسسات التعليمية متمركزة في المدن الكبيرة والمراكز الحضرية التي لم يشكل سكانها حت العام ١٩٠٥م ما نسبته ٢٤% في حين ظل سكان القرى والارياف والذين يشكلون ما نسبته ٧٦% محرومين من برامج التعليم والمؤسسات التعليمية .

ثانيا : نشوء الطباعة :

شهد العراق تأسيس عدد من المطابع منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، وقد سجل تطور الطباعة في اوروبا انجازا بالتقدم والتطور قياسا بالولايات العثمانية ومنها العراق التي وصلها التطور في الطباعة متأخرا ، ويعزى ذلك الى تدهور الاوضاع العامة خلال السيطرة العثمانية كما ان السلطات العثمانية حرصت على فرض العزلة على الولايات العربية ومنها العراق عن كل

تحديث خشية منها ان تطالب هذه الولايات بالاستقلال والحرية ، لذلك تأخرت معظم الولايات العربية عن التطور في المجال الثقافي ومنها العراق .

ان اول مطبعة دخلت الى العراق كانت في عهد الوالي داود باشا (١٨١٧-١٨٣١) وعرفت بمطبعة دار السلام ، اذ كان معروفا عن داود باشا حبه للثقافة ورغبته في تطوير العراق ، وان اول كتاب طبع فيها هو كتاب (دوحة الوزراء في تاريخ وقائع بغداد الزوراء) لمؤلفه رسول حاوي الكركوكلي ، ويعد من المصادر المهمة في تاريخ العراق الحديث ، الان سقوط داود باشا ادى الى اهمال المطبعة وحال ذلك دون استمرار تطور الطباعة .

تأسست في عام ١٨٦٣م مطبعة حجرية باسم مطبعة كافل التبريزي وباشرت اعمالها في تأليف الكتب ومنها كتاب ابو الفوز محمد امين البغدادي السويدي وعنوانه (سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب) واهملت هذه المطبعة بعد ان ادخلت مطبعة الولاية في عهد مدحت باشا، تعد مطبعة الولاية التي اسسها مدحت باشا كما ذكرنا سابقا في ولاية بغداد من المطابع المهمة ، اذ جلب معداتها من باريس وتم طبع اول صحيفة عراقية فيها جريدة الزوراء التي صدرت عام ١٨٦٩م ، وبعد نقل مدحت باشا اهملت المطبعة ،كما جلب مدحت باشا مطبعة حجرية خاصة بطبع المنشورات والاوامر العسكرية سميت بمطبعة الفيلق وكانت مطبوعاتها ذات طابع سري ومحدود ، في عام ١٨٩٢م انشأ ابراهيم باشا مطبعة دار السلام في بغداد وقد وصفت بأنها كبيرة الادوات تضاهي احسن المطابع في سوريا ولبنان ، وبعد تولي حازم بك واليا على بغداد جلب مطبعة جديد ١٩٠٥ لكن لم يكتب لها النجاح ، فأخذ الصحفي محمد رشيد الصفار صاحب جريد الزهور استثمارها من الحكومة بمبلغ ١٥٠ ليرة تركية ، وسعى الى تطويرها وجلب حروفها من اسطنبول والشام ، وبدأت العمل وقامت بطبع الكتب والصحف الى ان توقف صدورها حتى الحرب العالمية ،وفي عام ١٩٠٧م تأسست مطبعة الشابندر لصاحبها محمود الشابندر الذي كان احد التجار المعروفين في بغداد.

اما في الموصل فقد ارتبطت حركة الطباعة بنشاطات الارساليات التبشيرية المختلفة ، كان الاباء الدومنيكان من اوائل الاذين ادخلوا الطباعة الحديثة الى الموصل ، ففي عام ١٨٥٨م وصل الموصل هنري امانتون وانشأ اول مطبعة في الموصل وتولت المطبعة طبع عدد من الكتب بلغات مختلفة منها العربية والتركية والفرنسية ، كما تولت المطبعة طبع السجلات والاوراق الرسمية وطبع الكتب المدرسية ، واستمرت المطبعة بالعمل حتى الحرب العالمية بعد ان أمرت السلطات العثمانية بإغلاقها على اعتبار انها تتبع دولة معادية ، في عام ١٨٧٥ تأسست في الموصل ايضا مطبعة الولاية اسسها تحسين باشا الذي جلب معداتها من اسطنبول ، وكانت تطبع الاوراق الرسمية والدفاتر مع طبعها لجريدة الموصل التي كانت تصدر اسبوعيا ، والحقت بها عام ١٨٩٣م تسع مطابع ، واختصت واحدة من هذه المطابع بالجيش وسميت بالمطبعة العسكرية وكانت مطبوعاتها

سرية لا يطلع عليها سوى كبار الضباط في الجيش ، وتولت مطبعة الولاية طبع القوانين التجارية وقوانين الاراضي والكتب التاريخية والتقويم العثماني فيما يخص الموصل المعروف (موصل سالنامة) ، ولم تقتصر المطبعة على المطبوعات الحكومية بل كانت ايضا تقوم بطباعة ما يقدمه الاهالي من مطبوعات ، في عام ١٩١٠ اسس عيسى محفوظ وبمشاركة فتح الله سرسم مطبعة في الموصل ايضا .

اما في كربلاء فقد ظهرت المطابع فيها مبكرا لكنها لم تستمر طويلا ، ففي عام ١٨٥٦م جلبت اليها مطبعة حجرية قامت بطبع المنشورات التجارية وكتب ورسائل دينية ، وتم فيها طبع كتاب مقامات ابن الالوسي لمؤلفه ابي الثناء الالوسي وهو من رواد حركة النهضة في العراق ، واهملت المطبعة فيما بعد واندثرت ، اما في كركوك فقد تأسست اول مطبعة فيها عام ١٨٨٥م في عهد الوالي فيضي باشا وقد طبعت فيها الكتب والمنشورات الرسمية والصحف التي كانت تصدر في كركوك منها صحيفة الحوادث والمعارف ومجلة كوكب المعارف .

في البصرة تأسست اول مطبعة عام ١٨٨٩م في عهد الوالي هدايت باشا ، لصاحبها جلبي زادة محمد علي وهو موظف بغدادي الاصل ، وطبعت فيها جريدة البصرة الرسمية التي صدرت في ٢٦ ايار / مايو عام ١٨٨٩م وكان يشرف عليها جلبي زادة نفسه ، وتأسست في البصرة ايضا ثلاث مطابع اهلية هي مطبعة الاتحاد والمطبعة المحمودية والمطبعة الاحمدية .

ثالثا: الصحافة :

انعدم وجود الصحافة في العراق تقريبا قبل صدور جريدة الزوراء في ١٥ حزيران / يونيو / عام ١٨٦٩م في عهد الوالي مدحت باشا اذ بلغت اعدادها منذ صدورها حتى العام ١٩١٧م ٢٦٠٧ عدد وصدرت ايضا بعض المجلات الدينية باللغة العربية منها مجلة اكليل الورود التي صدر عددها الاول في كانون الاول / يناير عام ١٩٠٢م وقد صدرت بثلاث لغات هي العربية والفرنسية والكلدانية وكانت معظم منشوراتها عن المذهب الكاثوليكي فضلا عن اهتمامها بالموضوعات الصحية والاجتماعية والثقافية ، كذلك اصدر الاباء الكرملين مجلة دينية اسمها مجلة زهيرة بغداد في ٢٥ اذار / مارس عام ١٩٠٥م ، وكانت تتناول مقالاتها الجوانب الدينية والادبية والاجتماعية استمر صدورها لمدة سنة وتوقفت عن الصدور ، مع اعلان الدستور العثماني عام ١٩٠٨م اخذت الصحافة دورا مهما بعد ان شهدت الدولة العثمانية نهضة صحفية كبرى ، فقد صدرت بين عامي ١٩١٠-١٩١١م ٣٦ جريدة عربية ، وبلغ مجموع الصحف التي اجزيت في العراق وحدهُ ٢٥ صحيفة منها ١٩ في بغداد وحدها ، ومن ابرزها جريدة الرقيب لصاحبها عبد اللطيف ثنيان وهو من الادباء العراقيين المعروفين التي صدر العدد الاول منها عام ١٩٠٩م ، وكان لها تأثير كبير في المجتمع من خلال مقالاتها التي كان لها الاثر الواضح بين الاوساط الشعبية ، وصدرت جريدة صدى بابل لصاحبها المعلم الموصلي داود صليوا التي صدرت في

بغداد عام ١٩٠٩م ، وكانت مقالاتها محفزة للشعب للأخذ بكل اسباب التقدم والتطور وطريق الاصلاح والحرية ، وكان لها مواقف مشرفة بالضد من الحكم العثماني وطالبت بأن تكون اللغة العربية في العراق لغة رسمية واستمرت بالصدور ست سنوات ، في عام ١٩١١ صدرت مجلة لغة العرب وتعد من اشهر المجلات الادبية الرصينة ، وقد ادت دورا مهما للحفاظ على اللغة العربية واصبحت من المراجع المهمة لدراسة الادب العربي وتوقفت عن الصدور مع اندلاع الحرب العالمية الاولى .

في عام ١٩١٣م صدرت جريدة النهضة على يد مؤسسها ابراهيم حلمي العمر لتكون لسانا للنادي الادبي الذي اسسه جماعة من العاملين في الحركة القومية العربية منهم محمد رضا الشبيبي وتحسين العسكري وبهجت زينل ، وكان صدور الجريدة وتأسيس النادي للوقوف بوجه سياسة جماعة الاتحاد والترقي التي لم تتحمل لهجتها الناقدة فأغلقتها بعد صدور عددها الحادي عشر وهرب مؤسسها الى البصرة ، وصدرت ايضا في بغداد جريدة بانكي كورد اي صوت الاكراد عام ١٩١٤م لصاحبها جمال بابان وكانت تصدر باللغتين الكردية والتركية وكان صدورها كل ١٥ يوم ، اهتمت الجريدة بإحياء التراث الثقافي العراقي الكردي ومسائل التعليم ودور الثقافة في حياة الامم ، توقف صدورها مع اندلاع الحرب العالمية الاولى عام ١٩١٤م .

في الموصل صدرت عام ١٨٨٥م جريدة الموصل ، وهي الجريدة الرسمية للولاية وتنشر مرة كل اسبوع واستمر صدورها حتى نشوب الحرب العالمية الاولى ، وصدرت في عام ١٩٠٩م جريدة نينوى التي تعد اول جريدة اهلية التي كانت تتناول الكثير من القضايا السياسية والاجتماعية، وصدر في العام ١٩١٠م جريدة النجاح التي كانت تدعوا الى اللامركزية وتنتقد الحكومة العثمانية وخلقت فئة مثقفة في الموصل وكانت تدعوا الى التمسك بالدستور والاهتمام باللغة العربية والتاريخ العربي ، واسهمت بالتوعية الانتخابية ونشرت مقالات عديدة حول ضرورة قيام انتخابات حرة ونزيهة .

في البصرة اصدرت السلطات العثمانية جريدة بصرة باللغتين العربية والتركية في عام ١٨٨٩م وتوقفت عن الصدور عام ١٨٩٥م ثم عادت الى الصدور ، واستمر صدورها حتى عام ١٩١٤م ، في العام ١٩١٢م صدرت جريدة الدستور لصاحبها عبدالله الزهير وسميت بعد ذلك بصدى الدستور واستمرت بالصدور حتى الاحتلال البريطاني للبصرة عام ١٩١٧م، وكانت معظم مقالاتها مكرسة للدفاع عن الدستور العثماني ، والوضع السياسي في البصرة بعد ان اشتدت المعارضة لحكم الاتحاديين بزعامة السيد طالب النقيب الذي اسس جمعية الاصلاح البصرية عام ١٩١٣م التي كان برنامجها اصلاحيا ذا بعد قومي .

صدرت مجلة العلم في النجف عام ١٩١٠ لصاحبها محمد علي هبة الدين وتوقفت عن الصدور بعد اندلاع الحرب العالمية الاولى وكان قد صدر منها ٢١ عدد

العراق في عهد الاتحاديين:

نبذة عن جمعية الاتحاد والترقي:

جمعية الاتحاد والترقي بالتركية العثمانية(اتحاد وترقي جمعيتي) هي منظمة سرية تأسست باسم جمعية الاتحاد العثماني في ٦ شباط / فبراير عام ١٨٨٩م في اسطنبول اسسها مجموعة من طلبة الطب في مدرسة الطب العسكرية وتحولت فيما بعد الى منظمة سياسية واصبحت من اشهر المنظمات في حركة تركيا الفتاة ، بدأت الجمعية نشاطها داخل الدولة العثمانية ونفى السلطان عبد الحميد اعضائها بسبب دعواتهم لإرساء الديمقراطية في البلاد ، وفي عام ١٩٠٦ م تحولت الجمعية الى تنظيم شبه عسكري وتسللت الى وحدات الجيش العثماني ، وفي عام ١٩٠٨م اجبرت الجمعية السلطان عبد الحميد الثاني على اعادة العمل بدستور عام ١٨٧٦م كان من ابرز قادتها محمود شوكت وطلعت باشا وجمال باشا الملقب بالسفاح الذين تمكنوا من عزل السلطان عبد الحميد ونفيه الى سالونيك عام ١٩٠٩م وتنصيب اخيه محمد رشاد سلطانا على الدولة العثمانية وليس له من الحكم الا الاسم ، الحكم الفعلي كان بيد جماعة الاتحاد والترقي .

اسهمت البدايات الاولى لعملية التحديث في العراق الى بلورة الوعي الفكري والثقافي لدى نخبة من المثقفين الذين اخذوا على عاتقهم تبني المشروع القومي العربي والتنبيه على احقية الشعوب العربية في الحصول على حقوقها في تقرير المصير وكان للصحافة الدور البارز في ذلك من خلال اطلاع القراء في العراق على مقالات الادباء والمفكرين العرب امثال رفاعة رافع الطهطاوي وعبد الرحمن الكواكبي ومحمد عبده وغيرهم من المفكرين والمصلحين الذين تناولوا في كتاباتهم قضايا عصرهم كالحقوق القومية والتعليم والاصلاح الاجتماعي .

ونتيجة لتنامي الوعي الفكري لدى الفئات المثقفة من العراقيين الذين كانت تضطرهم اعمالهم او دراستهم للإقامة في العاصمة العثمانية اسطنبول ، مما ادى الى انخراطهم في تنظيمات جمعية الاتحاد والترقي التي كانت في بدايتها تدعوا الى اجراء اصلاح دستوري تنال بموجبه شعوب الدولة العثمانية حقوقها القومية ، لذلك عمت البهجة وروح التفاؤل لدى اوساط عراقية كثيرة بعد ان وصلتها انباء نجاح اعضاء جمعية الاتحاد والترقي على اجبار السلطان عبد الحميد الثاني على اعادة العمل بالدستور العثماني لعام ١٨٧٦م وكان العمل به معلقا لحين ما تم الاعلان في ٢٤ تموز/ يوليو عام ١٩٠٨م على اعادة العمل به .

على اثر نجاح جماعة الاتحاد والترقي باعادة العمل بالدستور والسيطرة على مقاليد الامور بالدولة العثمانية تم فتح عدد من الفروع لجمعية الاتحاد والترقي في بعض المدن العراقية ، وقد كانت الجماهير في بغداد قد استقبلت اعلان الدستور العثماني بالفرح والاحتفالات على عكس الجماهير في الموصل التي لم ترحب باعلان الدستور، اذ انه سرعان ما تكشفت حقيقة جماعة الاتحاد والترقي التي لم يمضي سوى بضعت اشهر على توليها الحكم حتى بدؤا بممارسة سياسة التتريك التي ترمي الى اعتماد اللغة التركية في جميع المحافل والمؤسسات التعليمية بدلا من اللغة العربية ودمج العناصر غير التركية بها ، مما ادى حدوث ردة فعل واسعة في الولايات العربية ومنها العراق ، لا سيما بعد اصدار جماعة الاتحاد والترقي تعديل قانون انتخابات مجلس المبعوثان الذي ارادوا من خلال تغليب العنصر التركي على باقي العنصر والقوميات ومنها العربية ، اذ فاز في تلك الدورة ١٦ نائبا تركيا يمثلون الولايات العربية ولا يوجد اي نائب عربي يمثلها .

تدخل الاتحاديون في العراق مستغلين قانون الانتخابات بترشيح العناصر التركية ومن اعضاء جماعة الاتحاد والترقي للدخول في الانتخابات ، ففاز حمزة بك وهو تركي من جماعة الاتحاد عن لواء المنتفك بعد ان فرضه المتصرف فريد بك وتوعد انه من ينتخب غير قائمة الاتحاديين سينال عقوبة شديدة ، حرمت الكثير من العشائر العربية من حق المشاركة في الانتخابات متعللين بجهلهم لاعدادهم وموطن سكنهم ، وعلى الرغم من تلك السياسة التي مارستها جماعة الاتحاد والترقي في السيطرة على مجلس المبعوثان الا انه كان للنواب العرب والعراقيين دور في التقارب وتنسيق العمل السياسي فيما بينهم ومع غيرهم من العناصر غير العربية في مواجهة جماعة الاتحاد والترقي

لقد ادت سياسة الاتحاديين الى رد فعل كبير في العراق تجسد ذلك في اتجاهين هما :

١- رفض الدستور ومساندة السلطان عبد الحميد الثاني
٢- العمل على تأكيد حقوق العرب القومية

برز دعاة الاتجاه الاول اثناء قيام الثورة المضادة ضد اعضاء جماعة الاتحاد والترقي في اسطنبول ، اذ انه تشكلت الجمعية المحمدية التي تركزت مطاليبها بالوقوف بوجه الدستور لكونه مخالف للشريعة الاسلامية ، وانتشرت انباء الثورة المضادة الى جميع الولايات العربية ومنها العراق اذ تشكل في الموصل فرع للجمعية المحمدية في اواخر عام ١٩٠٨م واتخذ من المدرسة الاحمدية في منطقة باب السراي مقرا لها وانتمى كثير من الناس اليها اذ انهم كانوا يميلون الى نصرة السلطان عبد الحميد .

اما الاتجاه الثاني فقد برز بعد ان قرر كثير من اعضاء جمعية الاتحاد والترقي من العرب الانفصال عنها ، واخذوا يعملون في مجال العمل السياسي السري والعلني على حد سواء من اجل التصدي لمحاولات طمس الهوية والقومية العربية ، وايد العرب القوميين من العراقيين الحزب الحر المعتدل الذي كان مناؤا لجمعية الاتحاد والترقي ، وافتتحوا له مقارا في الموصل والبصرة ، كما تم تأسيس فروع لحزب الحرية والائتلاف العثماني المعادي للاتحاديين في كل من بغداد والبصرة وكانوا ينادون باتباع سياسة لا مركزية في ادارة الولايات العربية مع منح حقوقها القومية ، وقد ايد معظم البصريين هذا الحزب وعقد اول اجتماع للحزب في دار السيد طالب النقيب حضره اكثر من ١٠٠ شخصية من وجهاء البصرة ، ودعا الحزب الى المساواة بين العرب والاتراك وضرورة اصلاح الاوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية .

في بغداد تم تأسيس جمعية المشورة بهدف ضرب نشاط الاتحاديين والمطالبة بالحكم الذاتي للعرب ، وفي عام ١٩١٣م اسس مجموعة من الشباب جمعية عربية باسم (النادي الوطني العربي) بلغ عدد اعضائها ٢٠٠ عضو ودعت الى تطبيق اللامركزية واعطاء الحكم الذاتي للعرب وتم التنسيق مع باقي الجمعيات والاحزاب القومية الاخرى ، وفي نفس العام اسس السيد طالب النقيب في البصرة (جمعية البصرة الاصلاحية) وكانت من اقوى التنظيمات القومية العربية واكثرها نشاطا في العراق ومن ابرز اهدافها:

١- ان يكون العراق ارضا عثمانية تحت راية الهلال
٢- يعين الوالي من الحكومة المركزية على ان يكون عراقيا ملما بعادات وتقاليد العشائر المحلية ، وان يعين مدير المالية والقاضي والمتصرف بعد استشارة مجلس العموم وملمين باللغة العربية .
٣- اللغة العربية تكون هي اللغة الرسمية في جميع دوائر الولاية
٤- يخدم الضباط العرب في بلادهم

٥- تدريس جميع العلوم في المدارس باللغة العربية مع العناية بالعلوم الدينية واللغة التركية

.في عام ١٩١٣ م عقدت الجالية العربية في باريس مؤتمر عرف بالمؤتمر العربي في باريس وقد طالبوا بحقوق العرب القومية ، وقد ارسل السيد طالب النقيب برقية يؤيد فيها عقد المؤتمر ، كما ارسل جماعة من بغداد برقية يطالبون فيها بأن يكون توفيق السويدي ممثلا عن العراق اذ كان يدرس في باريس آنذاك ، كان لظهور عزيز علي المصري وهو ضابط في الجيش العثماني اثر كبير في تبلور الحركة القومية العربية اذ اسس جمعية عربية سرية عرفت جمعية العهد في ٢٨ تشرين الاول / اكتوبر عام ١٩١٣م ، وكان الضباط العراقيون يؤلفون الاكثرية فيها منهم نوري السعيد وياسين الهاشمي وعلي جودت الايوبي وغيرهم .

في عام ١٩١٤ م تم تأسيس جمعية العلم السرية على يد مجموعة من الشباب القوميين الذين طالبوا بتأسيس دولة عربية مستقلة

مهد هذا النضج والوعي الفكري والقومي العربي لحدوث الثورة العربية الكبرى التي قادها الشريف حسين بن علي شريف مكة ضد الدولة العثمانية وبدعم من الانكليز الذين ساهموا وبشكل كبير في اسقاط الدولة العثمانية واحتلال العراق وهذا ما سيتم الحديث عنه فيما بعد .

العراق في عهد سيطرة الاق قوينلو (دولة الخروف الابيض) ١٤٦٧- ١٥٠٨م

الاق قوينلو :هي احدى القبائل التركمانية التي نزحت من تركستان الغربية الى اذربيجان والاناضول في اواخر القرن الثالث عشر الميلادي نتيجة لزحف المغول الى مناطقها ، وعرفت باسم دولة الخروف الابيض لاقتنائها الخراف البيضاء.

كانت قبيلة الاق قوينلو من المؤيدين ليتمورلنك مما مكنها من ان تكون لها سطوة ونفوذ في مناطقها خصوصا في مناطق ديار بكر واتخذت من مدينة آمد عاصمة لها في عهد حاكمها بهاء الدين عثمان قره يولك، انتزع الامير اوزون حسن (الملقب بالطويل) الحكم من اخيه جهانكير بن علي بيك عام ١٤٤٥م مما مكن الامارة من منافسة امارة القره قوينلو وتمكنت من القضاء عليها عام ١٤٦٧م في معركة حاسمة في ديار بكر وبذلك ضم الامير اوزون جميع ممتلكات القره قوينلو بما فيها العراق الى حكمه.

بعد ان سيطر اوزون حسن على املاك القره قوينلو وتوسعت حدود امارته وضعته امام حاكم خرسان التيموري ابي سعيد الذي هزم عام ١٤٦٩ امام جيش اوزون حسن وسيطر الاخير على جميع ايران واتخذ من تبريز عاصمة له .

بانهيار حكم القره قوينلو في اذربيجان وايران لم يبقى لهم مناطق نفوذ سوى بغداد التي كان يعاني سكانها من ظلم وجور حاكمها شاه منصور القره قوينلوي ، فقد راسل حسن الطويل بعض حكام المدن العراقية للدخول في طاعته فاستجاب له حكام بعض قلاع الاكراد كما استجاب له حاكم سنجار شاه علي القره قوينلوي في حين رفض حاكم بغداد طلبه واستعان بابي سعيد التيموري الذي لم يلبي طلبه بسبب انشغاله في مواجهة حسن الطويل ، وامام هذا الظلم فمن الطبيعي ان لا تجد قوات الاق قوينلو التي تحركت من الموصل بقيادة خليل اغا ومقصود بيك ابن اوزون حسن اية مقاومة من اهالي بغداد ،الامر الذي ادى الى استسلام شاه منصور فدخل الاق قوينلو بغداد ولم يتعرضوا لاهالي بغداد بأذى او نهب اما شاه منصور فقد حكم عليه بالاعدام هو واثنين من اعوانه ، وما ان تلقى حسن الطويل نباء احتلال بغداد حتى عين ابنه مقصود بيك حاكما عليها يساعده خليل اغا ، وخلال مدة حكم هؤلاء كانت اوضاع العراق عامة وبغداد خاصة مستقرة نوعا ما ، لكن سرعان ما شاعت الفوضى في الامارة على اثر وفاة اوزون حسن عام ١٤٧٧م بسبب الصراع على السلطة بين اولاده واحفاده هذا الصراع ادى الى تفكك الامارة ومنها العراق الذي اصبح اقليما مهملا وساحة للسلب والقتل والنهب ، اذ تولى الحكم السلطان خليل ابن اوزون حسن الذي لم يدم حكمه سوى ستة اشهر اظهر فيه تعسفا وانغماسا باللهو والترف ، مما ادى الى اندلاع حركات التمرد ، اذ ثار ابن عمه المدعو مراد بن جهانكير حاكم بغداد وحاول احتلال مدينة السلطانية الا انه اندحر امام قوات السلطان وقتل مراد في ظل هذه الاوضاع ظهر الشاه اسماعيل الصفوي الذي اخذ على عاتقه توحيد ايران تمكن من القضاء على بقايا الاق قوينلو لينتهي حكمهم عام ١٥٠٨م لتبدء مرحلة جديدة في تاريخ العراق الحديث تتمثل بالاحتلال الصفوي للعراق .

الاوضاع العامة للعراق في عهد الاق قوينلو :

اولا / الاوضاع الادارية :

سبق وان اشرنا الى ان التقسيمات الادارية في العهد الايلخاني ضمت ثلاث ولايات هي ولاية العراق الغربي ، وولاية ديار بكر ، وولاية الجبل وظلت هذه التقسيمات سارية في العهد الجلائري في حين ان القره قوينلو لم ياخذوا بهذه التقسيمات الذي اصبح بولاياته الثلاث يدار بولاية واحدة ، ويبدوا ان الوضع الاداري ظل قائما على حاله في عهد الاق قوينلو ، الا في الفترة التي شهدت نهاية حكمهم والاضطراب السياسي وصراع الامراء على السلطة فانفصلت الموصل عن تبعيتها لبغداد واصبحت مركزا لولاية ديار بكر .

كان الوضع الاداري قائم على ان يتم تعين الحكام للولايات من قبل الحكومة المركزية في تبريز ، ويتم تعين حكام المدن والموظفين من قبل حكومة الولاية ، في عهد الاق قوينلو كان الحكام يجمعون بين اقطاع الولاية وادارتها وكانت تقع عليهم مسؤولية تحصيل الموارد المالية لحكومة تبريز بعد ان يأخذوا منها حصة ولايتهم فضلا عن انه تقع عليهم مسؤولية ضبط الامن وتهيئة الجند عند الحاجة ، لذلك كان الوضع العام لادارة المدن في العراق تدار بأسلوب الاقطاع الذي غلبت عليه تسمية السيورغال ، ولم يعد هذا النظام مقتصرا على ابناء الاسرة الحاكمة وامراء الجيش بل شمل العلماء ورجال الدين.

كان سلاطين الاق قوينلو يعمدون الى جعل اولادهم صغار السن حكاما على الولايات ليتعلموا ويكتسبوا خبرة الحكم يساعدهم امراء من ذوي الخبرة في الادارة يسمون لالا الذين تقع عليهم مسؤولية حكم الولاية وادارتها ، اذ كان خليل بيك الذي تم ذكره سابقا لالا للشاب مقصود بيك ابن حسن الطويل.

بالنسبة لجهاز القضاء فنظرا لتقرب سلاطين الاق قوينلو من رجال الدين نال القضاة حرية الحركة ، وان معظم من تولوا وظيفة القضاء هم من اصول عراقية وهذا يدل على ان امور الشرع بقت بيد السكان المحليين

اما بالنسبة للجيش فقد اعتمد الاق قوينلو في تشكيلاتهم ونظمهم على ما ورثوه من نظم وتقاليد مغولية وجلائرية فبقت القيادة بيد الاولوياي او السلطان بوصفه الزعيم والمسؤول عن حماية الامة بيده مقاليد المور العسكرية من اعلان الحرب او الصلح وغيرها من الامور ، وكانت التشكيلات العسكرية تضم الفرسان والمشاة .

مقاومة القبائل العربية للاق قوينلو:

ان هجمات امارة المشعشعين التي ذكرناها سابقا لم تتوقف في عهد امارة الاق قوينلو على المدن والقرى في وسط وجنوب العراق . اذ استغل الامير محسن بن محمد المشعشع موت السلطان اوزن حسن عام ١٤٧٧م فهاجم الحلة واطراف بغداد ووصل الى نواحي ديالى عام ١٤٧٨م مما اثار حفيضة الاق قوينلو الذين وجهوا ضربة لامارة المشعشعين عام ١٤٨٤م مما ادى الى الحاق الهزيمة بالامير محسن في عقر داره ، كذلك الحال كان بالنسبة لقبيلة المنتفك الذين اخذ نفوذهم يتزايد فاستولوا على منطقة الجزاير والبصرة وصولا الى حدود الرماحية والحلة مما ادى الى ان يظل نفوذ الاق قوينلو مقتصرا على بعض المدن دون ان يمتد الى المناطق التي كانت خاضعة لسطلة القبائل.

ثانيا / الاوضاع الاقتصادية :

انتقل النظام الاقتصادي الذي كان سائدا في العهد الجلائري والقره قوينلو الى الاق قوينلو الذين انتقل اليهم نظام ملكيات الاراضي واطلقوا عليها تسمية اراضي الخالصات اي الاراضي التي اصبحت ملكا خاصا للسلطان ، اما الاراضي الخراجية فهي التي تعود ملكيتها للدولة ، واراضي الاوقاف التي افرزت من الاراضي الاميرية او منحت من قبل اشخاص لمؤسسات دينية وخيرية ، وكذلك اراضي الملكيات الفردية التي بقت قائمة في عهد الاق قوينلو ، اتسع في عهد الاق قوينلو الاقطاع مما ادى الى اضعاف السلطة المركزية.

في عهد الاق قوينلو نلمس بعض الجهود الاصلاحية التي كان لها تأثير على الزراعة خصوصا ، فقد قام حسن الطويل بإصدار قانون يضبط جباية الاموال واعمال العدل بين الرعية سمي بقانون نامة او بدستور حسن بيك الذي طبق بالعراق وبموجبه اصبح الخراج على الفلاحين معلوم، وخفض ضريبة الدمغة التي كانت تفرض على المحاصيل الزراعية بنسبة النصف.

التجارة:

في عهد الاق قوينلو لم تجرِ محاولات لإنقاذ وضع مدينة بغداد ومكانتها التجارية فقد وصفها الرحالة في ذلك العهد بأنها كانت خربة ، ومع ذلك كان عدد من سكانها يزاولون مهنة التجارة واستمرت بعض من خاناتها كخان مرجان كمنشآت تجارية واستمر انتاجها لبعض الصناعات مما يدل على وجود حركة تجارية فيها، اما في البصرة التي لم يصل اليها المحتلين من الاق قوينلو لذلك سلمت اسواقها من التخريب، فكان فيها سوق ضخم للتجارة ارتبط بالتجارة الخارجية اكثر من الداخلية بحكم موقع البصر الجغرافي على رأس الخليج العربي

ثالثا / الحياة الثقافية:

لقد كان للاحتلال الاق قوينلوي على العراق اثار سلبية كبيرة على الحياة الثقافية ، اذ بفعل الفوضى والاضطهاد والحروب اضطر كثير من علمائه ومشايخه للهجرة الى بلاد الشام ومصر والحجاز، على الرغم من اسلام الحكام الجدد لكن ظلت الحياة البدوية الرعوية طاغية على اسلوب حياتهم التي كانت تتعارض مع اسلوب وحياة العراقيين فظلت الهوة كبيرة بينهم وبين المحتلين ،لقد اهمل المحتلون اللغة العربية واتخذوا اللغة الفارسية لغة رسمية متداولة في دواوينهم ونشاطاتهم الثقافية ففي عهد الاق قوينلو لم يكن هناك اي اثر حضاري او ثقافي كأن يكون مدارس تعليمية او نتاجات ثقافية لذلك ظلت النشاطات الثقافية في العراق مقتصرة على العراق فقط ، مما ادى الى أن معظم علماء العراق قد تواروا عن الانظار نتيجة كثرة الفتن والحروب .

س/ عرف الاق قوينلو

عرف / السيورغال : هو نظام من الاقطاع كانت تدار به المدن في العراق خلال سيطرة الاق قوينلو ولم تقتصر ملكية هذا الاقطاع على ابناء الاسرة الحاكمة وقادة الجيش بل شمل رجال الدين والعلماء.

عرف / اراضي الخالصات : هي الاراضي التي كانت تعد ملكا خاصا للسلطان.

استخدم الاق قوينلو نظام من الاقطاع كانت تدار به المدن في العراق يسمى بـ السيورغال

اطلق الاق قوينلو على الاراضي التي كانت ملكا خاصا للسلطان بـ اراضي الخالصات

العراق في عهد سيطرة القره قوينلو (١٤١١-١٤٦٧م) :

القره قوينلو اسم مركب من لفظتين قره بالتركية تعني الاسود ، وقويون تعني الشاة او الغنم وقوينلو تعني ذو الغنم ، وعليه فإن قره قوينلو تعني ذو الغنم السود

بعد انهيار سلطة الايلخانات في ايران عام ١٣٣٥م كما ذكرنا سابقا استغلت معظم القبائل التي كانت خاضعة لهم ذلك الوضع لتنفرد وتعزز سلطتها على المناطق التي كانت خاضعة لها ، ومنها قبيلة القره قوينلو (الخروف الاسود) التي نزحت بسبب الضغط المغولي من مناطق خوارزم واطراف بحيرة اورال وشرقي بحر قزوين .

جاءت تسميتها بالقره قوينلو (الخروف الاسود) التي اصبحت اصطلاحا خاصا بها لاشتهارها بإقتناء الخروف الاسود ولان رايتها تحمل شعار الخروف الاسود، ويطلق عليها اسم البارانية نسبة الى قبائل الغز التركمانية التي نزحت من تركستان الغربية الى جهات اذربيجان وسيواس في اواخر القرن الثالث عشر الميلادي ، وتمكنت من اقامة كيان سياسي لها في جنوب شرق الاناضول في الاراضي الواقعة شمالي بحيرة وان في ارمينيا على تخوم السلطنة المملوكية ومملكة طرابزون المسيحية ، واتخذت مدينة ارغيش عاصمة لها.

كان بيرم خواجة اول امراء القره قوينلو والذي نجح في توسيع حدود امارته بحكم اتصاله بالسلطان معز الدين اويس الجلائري وبعد وفاته عمت الفوضى والاضطرابات الدولة الجلائرية مما مكن الامير بيرم من الاستيلاء على الموصل وسنجار واونيك عام ١٣٧٤م.

لكن مالبث ان عاد التحالف ما بين القره قوينلو والجلائرين في مواجهة خطر تيمورلنك ، وما ان زال خطر التيموريين حتى عاد الصراع ما بين الطرفين من اجل التوسع واليسطرة على مزيد من الاراضي ، فتوجه قرة يوسف (١٣٩٠- ١٤٢٠ م) على راس الف مقاتل عام ١٤٠٦م للسيطرة على اذربيجان التي سيطر عليها وخلال عامي ١٤٠٨-١٤٠٩م وجدت امارة القره قوينلو انه لم يعد بالامكان ان تظل تابعة للدولة الجلائرية ، من جهته وجد السلطان احمد الجلائري انه يجب القضاء وتحجيم امارة القره قوينلو فشن في عام ١٤١٠ هجوما عليها في اذربيجان ، الا ان القره قوينلو تمكنوا من هزيمة السلطان احمد الذي اسر فأمر قره يوسف بقتله ، وارسل قره يويف ابنه محمد شاه الى بغداد التي دخلها عام ١٤١١م وبذلك انتهى حكم الجلائريين للعراق لتبدأ مرحلة جديدة من حكم قبيلة القرة قوينلو للعراق

الاوضاع العامة للعراق خلال عهد سيطرة القره قوينلو:

دام حكم القره قوينلو ستين عاما كانت البلاد خلالها مسرحا للتطاحن بين الامراء المتنافسين من الاسرة الحاكمة ، الامر الذي ادى انتشار الفوضى والاضطراب في البلاد واعمال التخريب والفتك

بالسكان والمدن وانتشار الامراض والاوبئة وحدوث المجاعات شأنها شأن فترات الاحتلال التي سبقتها.

الوضع السياسي :

بعد سيطرة القره قوينلو على العراق سادت حالة من الفوضى واصبحت السلطة شبه معدومة مما مهد على الانتقال من السلطة المركزية الى دويلات المدن، تولى محمد شاه حكم بغداد متمتعا باستقلال اداري واسع طوال مدة حكمه التي دامت ٢٣ عاما ، وقد قام بتوزيع المناصب لاقربائه في اهم المدن العراقية على شكل اقطاعيات استغلال (اولكة)، هذا ادى الى تدهور الوضع السياسي في العراق وذلك لان سلطة القره قوينلو لم تكن تشمل الا بعض المراكز المهمة ، مما فسح المجال لتشكيل احلاف من القبائل العربية لتكون صاحبة السلطة في البلاد ، وتصدت تلك القبائل لسلطة المحتلين كما حصل مع المغول والجلائرين في فترات الغزو السابقة ، مما مكن تلك القبائل من ان تمد نفوذها الى المدن، والقوى القبلية العربية التي ظهرت في هذه الحقبة تمثلت بمشيخات عديدة مثل مشيخة بني اسد في الاحواز ، والمنتفك في الفرات الاوسط وعنزة في الانبار وبنو شيبان في الموصل وآل فضل في المناطق الغربية وامارة المشعشين (نسبة الى مؤسسها محمد بن فلاح المشعشع) التي تجمعت تحت نفوذها مجموعة من القبائل العربية ، كان الفضل لهاتان الامارتان (ال فضل والمعشعشين) في التصدي لحكم القره القوينلو كما فعلو في تصديهم للايلخانين والجلائريين ، فاصبح لكل امارة كيانها المستقل تدار من قبل رؤساء القبلية او من ينوب عنهم

الوضع الاقتصادي:

ان السياسة الاقتصادية التي اتبعتها القره قوينلو استهدفت السيطرة على جميع موارد العراق الاقتصادية ، وانحصرت هذه السياسة ما بين الاستحواذ الكامل على مرافق البلاد الاقتصادية الزراعية منها والتجارية دون مراعاة مصلحة البلاد ، فضلا عن الاستيلاء المتكرر على ثروات السكان وفرض ضريبة الامان (الحماية) على الناس او جباية الاموال منهم دون وجه حق وبشكل مسرف ، كان امراء القره قوينلو قد قسموا مدن العراق على شكل اقطاعيات ما بين افراد هذه الاسرة ، وهذا ما نجده بالنسبة لكركوك والخالص والموصل ، فضلا عن ان الامراء يعدون العراق اقطاعا خاصا لهم وهم في تبريز، وعليه فأن حكام القره قوينلو كانوا يتصرفون باموال بغداد ، كذلك كان الامراء يذيعون بين عساكرهم مدة محددة تستباح فيها المدن المحتلة من اجل تشجيعهم على اقتحام المدن المحاصرة ، فمحمد شاه بن قرة يوسف عندما احتل بغداد عام ١٤١١ اجاز لقواته نهب المدينة لمدة يوم كامل ولم يقتصر امر السلب والنهب على بغداد بل امتد الى الموصل والنجف ايضا الامر الذي ادى الى تشتت

اهل المدن فهاجروا الى بلاد الشام ومصر الامر الذي انعكس على مجمل الحياة الاقتصادية والتي انحسرت بسبب هجرة العاملين فيها ، من الامور المهمة التي اثرت على السكان هي قيام القره قوينلو بتوطين العناصر الفارسية في العراق بعد اجبار سكان المدن والمناطق على تركها ، مما ادى الى نزع صفة الحضر من المدن فتحولت من مدن قائمة على الانتاج المديني (الصناعة التجارة وغيرها من المهن والحرف) الى مدن قائمة على الانتاج الروعي اي اصبحت شبيه بالبادية.

فيما يخص الجانب الاداري فلم تسجل خلال هذا اي تطور اداري واضح لان العراق خلال حكم هذه الامارة التركمانية كان مسرحا للتطاحن بين امرائها فيندر وجود اي انجاز اداري خلال هذه المدة واكتفوا بالنظم الادارية التي كانت سائدة قبل مجيئهم الى العراق.

عرف القره قوينلو: هم من القبائل التركمانية التي نزحت بسبب الضغط المغولي من مناطق خوارزم واطراف بحيرة اورال وشرقي بحر قزوين واستقرت في الشمال الغربي وشمالي الجزيرة الفراتية ،استغلت الفوضى في اواخر العهد الجلائري لتتمكن من السيطرة على العراق عام ١٤١١م .

س/ علل لماذا سميت القره قوينلو بدولة الخروف الاسود :

ج/ لاشتهارها بإقتناء الخروف الاسود واصبحت لها راية تحمل شعار الخروف الاسود ولهذا سميت بهذا الاسم.

كان حاكم القره قوينلو يمنح الاقطاعات لاقربائه تسمى بـ اولكة

فرضوا حكام القره قوينلو ضريبة الامان على السكان سميت بضريبة الحماية

محاضرات في تاريخ العراق الحديث ١٢٥٨ – ١٩١٨م

اهم مصادر تاريخ العراق الحديث:

١- كتابات المؤرخون

منها تاريخ جهانكشاي ، كلشن خلفا ، دوحة الوزراء في تاريخ وقائع بغداد الزوراء

غاية المرام في تاريخ محاسن بغداد دار السلام ، منية الادباء في تاريخ الموصل الحدباء

٢- الوثائق الرسمية

أ- الوثائق العثمانية : دفاتر المهمة ، دفاتر الطابو والتحرير ، دفاتر الشكاوي ، دفاتر الخطب السلطانية ، دفاتر الكنائس ، سجلات المحاكم الشرعية

ب - سجلات الحكومة البريطانية في بومباي : القسم الاول يبلغ عددها ١١ مجلد للفترة ١٧٦٣-١٧٧٧م، القسم الثاني ٩مجلدات للفترة من ١٧٩٨-١٨١١م

٣- كتابات الرحالة : اغلب الرحالة هم ما بين برتغاليين او فرنسين والمان وهولنديين وانكليز وان اغلب الرحالة كانوا يزودن حكوماتهم بمعلومات ذات اهمية سياسية واقتصادية وعسكرية

٤- مذكرات الدبلوماسيين : تعد من المصادر المهمة لكن لايمكن الاعتماد عليها بشكل بشكل قطعي لانها كتبت من بآراء شخصية وكثيرا ما تفتقد الى الموضوعية الحيادية في دقة معلوماتها.

العراق في عهد الاحتلال المغولي:

المغول : هم قبائل رعوية غير متحضرة عاشت في هضبة منغوليا يرجح معظم المؤرخين اصولهم الى القبائل التركية التي كانت تسكن المنطقة يمارس المغول الرعي والصيد وكانوا يتنقلون في ارجاء الهضبة سعيا وراء موطن المياه والكلاء. عاش المغول في الهضبة المعروفة باسم هضبة منغوليا شمال صحراء جوبي الممتدة في اواسط جنوبي سبيريا وشمال التبت وغربي منشوريا وشرقي تركستان بين جبال التاي غربا وجبال جنجان شرقا.

س/ علل ما يأتي : اتصاف المغول بصفة القسوة والقوة ومهاجمة القبائل الاخرى

ج/ نتيجة لكون المنطقة التي كانوا يسكنون فيها تتصف بالفقر وانعدام الزراعة فيها جعل حياتهم الصعبة تتطلب منهم ضرورة الاغارة على الممالك المتمدنة في الصين وبلاد ما وراء النهر وايران

كان العالم الاسلامي في المرحلة التي بدأ فيها ظهور المغول مقسما الى مجموعة من الممالك والدويلات الصغيرة تختلف عن بعضها بين الضعف والقوة سواء من الناحية العسكرية او الاقتصادية فضلا عن ان هذه الدويلات كانت تعاني من الصراعات الداخلية والصراعات فيما بينها من اجل السيطرة والتوسع على حساب بعضها ، وكان العالم الاسلامي منشغلا في مواجهة الحملات الصليبية على الشرق وما رافقه من صراع عنيف معهم ، ولم يكن الحكام المسلمون يشعرون بالخطر المغولي الا بعد ان اتجه هؤلاء نحو الغرب بعد القضاء على الدولة الخوارزمية كما سيتم ذكره لاحقا.

في العراق كان الخليفة العباسي له السيادة الروحية فقط ولم يكن له اي سلطة سياسية او عسكرية ولم يعد لهذا الخليفة سوى الدعوة له على المنابر في صلاة الجمعة او في المناسبات او الازمات ، اما الدولة الايوبية في مصر وبلاد الشام كانت لها مشاكلها مع مملكة بيت المقدس والامارات الصليبية اذ كانت هناك الحملة الصليبية الخامسة التي استولت على برج مدينة دمياط عام ١٢١٨م وفي هذه الاثناء توفي الملك العادل الامر الذي ادى الى انقسام البيت الايوبي الى والصراع على العرش في مصر

عرف تيموجين او جنكيزخان : هو قائد مغولي ولد عام ١١٧٦ م استطاع توحيد القبائل المغولية تحت قيادته واصبح بطلا قوميا في نظر ابناء جلدته اذ شن عدة حملات عسكرية على اسرة سين في شمال الصين واستطاع في عام ١٢١٥ من السيطرة على بكين التي اصبحت قاعدة امامية ثابتة لهم في شمال الصين توفي عام ١٢٢٧م .

بعد ان استطاع جنكيزخان تحقيق انتصاراته في الصين ونظم دولته اتجه نحو غرب اسيا الوسطى من اجل اخضاعها لحكمه والتي كانت تمثل بوابة العالم الاسلامي في الشمال الشرقي

علل ما يأتي

لقد تمكنت قوات جنكيزخان في فترة قصيرة من اكتساح اراضي الدولة الخوارزمية

الجواب / نتيجة لعد اخطاء ارتكبها السلطان محمد الخوارزمي لعل اهمها :

١- شارك بالقضاء على دولة القراخطاي التي كانت حاجز بينه وبين المغول
٢- امر كثير من سكان البلاد المجاورين لبلاد الخطاي بالرحيل عنها الى مناطق بخارى وسمرقند خوفا عليهم من التتار ، الذين كان يمكن ان يدافعوا عنها ضد المغول
٣- امر بتخريب البلاد التي غادرها سكانها خوفا من سيطرة المغول عليها والاستفادة من امكانياتها
٤- لعل اكثر ما دفع جنكيزخان بغزو خوارزم هو ما عرف بحادثة اوترار ، اذ ان جنكيزخان ارسل ٤٥٠ وفدا من التجار الى تركستان يحملون الاقمشة الحريرية فتعرض لهم حاكم اوترار وارسل الى خوارزم شاه يخبره بانه القى القبض على جواسيس للمغول بصفة تجار فامر بقتلهم جميعا مما ادى الى غضب جنكيز خان الذي طالب بحاكم مدينة اوترار وقام السلطان محمد خوارزم شاه بقتل الرسل ايضا مما ادى الى اعطاء مبررا لجنكيزخان لغزو بلاد خوارزم في العام التالي.

علل ما يأتي / عدم مهاجمة المغول لاراضي الخلافة العباسية الا بعد ٢٧ عاما من قضائهم على الدولة الخوارزمية

الجواب

نتيجة لانشغالهم بتوسيع دولتهم باتجاه اوربا خاصة بعد اجتياحهم دولة سلاجقة الروم في اسيا الصغرى فضلا عن حدوث بعض الثورات الداخلية ضد حكمهم من بقايا الدولة الخوارزمية

الاوضاع العامة للخلافة العباسية قبل الغزو المغولي:

كانت علامات الضعف قد بدأت بالظهور على الخلافة العباسية بعد سيطرت على مقاليد الحكم والدولة العناصر الفارسية والتركية فاصبح الصراع بين كل من العرب والفرس والاتراك للسيطرة على مقاليد الحكم ولم يكن للخليفة العباسي انذاك اي دور في المشهد السياسي ، اذ شعر الخليفة الناصر لدين الله (١١٥٨-١٢٢٥) ان الخلافة العباسية قد صارت ضعيفة من الناحية السياسية واصبحت

تنحصر بين العراق وخوزستان ولم تعد قادرة على ان تبسط سيطرتها على ما جاورها من الاقاليم ولم يتبقى لها الا النفوذ الروحي كما ذكرنا سابقا

لقد بدأ المغول يهددون امن الدولة العباسية منذ وقت طويل وقبل حملة هولاكو وقد تركزت غزواتهم الاولى على المناطق الشمالية من العراق بدأً منذ العام ١٢١٩ وتصدت لهم قوات الخلافة مما اضطرهم الى الانسحاب ، وما لبثوا ان اعاد المغول مهاجمة حدود العراق عام ١٢٢٠م اذ وصلت الاخبار بتقدم قوات المغول من مراغة واذربيجان نحو اربيل ، فبادر الخليفة الناصر لدين الله الى تحصين بغداد وطلب من ولاة الموصل واربيل بالانضمام الى قوات الخلافة في داقوق لمواجهة المغول الذين انسحبوا ضنا منهم ان قوات الخلافة في اثرهم .

في عام ١٢٣١م عاد المغول لمهاجمة سهل شهرزور التابع لاربيل ، واستمرت الغارات المغولية للمدة من ١٢٣٥ الى ١٢٣٦م ، وتصدى حاكم اربيل لتلك الغزوات وتمكن من وقف الزحف المغولي الذي ما لبث ان عاد لمهاجمة الموصل ووصلوا الى كراماليس في الموصل مما ادى الى هروب سكان المنطقة الامر الذي ادى الى طلب حاكم الموصل العون من الخليفة العباسي الذي سار بقواته مما اضطر المغول الى الانسحاب من المنطقة خشية الاصطدام بالجيش العباسي.

استمر الخطر المغولي على الاراضي العراقية بمهاجمتهم لها بين فترة واخرى مما اضطر الخليفة العباسي لطلب العون من الايوبيين لكن الانقسامات والصراعات بين الايوبيين على العرش حال دون توحيد جهود الخليفة العباسي معهم لمواجهة الخطر المغولي

توفي الخليفة الناصر لدين الله عام ١٢٢٥م وتولى المستعصم بالله الخلافة ، وما ان وصلت الانباء عن تقدم المغول بقوة قوامها١٦ الف مقاتل لمهاجمة مناطق العراق فاستعد الخليفة لمقاومتهم الا ان قوات الخلافة لم تتمكن من دحر قوات المغول لكنها اوقفت تقدمهم موقتا ، ولم يكن الخلافة العباسية في هذه المرحلة التاريخية الخطرة تدرك حقيقة الكارثة التي يمكن ان تهدد البلاد ، خصوصا مع اهمال الخليفة العباسي للمؤسسة العسكرية ، والذي كان في اغلب الاحيان يستنجد بالامراء المحلين من اجل التصدي للمغول.

لقد ادرك المغول خلال توجههم نحو بغداد ان الخلافة العباسية اصبحت بمفردها وان كل من يمكن ان يساعد الخلافة في صراعها المقبل معهم مشغول بصراعاته الداخلية ، ومن الواضح ان المغول عندما اعدوا حملتهم العسكرية ضد الخلافة العباسية كانوا قد اختبروا القوى الاسلامية في المنطقة سواء بحملاتهم السابقة على الاراضي الاسلامية بين الحين والاخر او عن طريق جواسيسهم التي لعبت دورا كبيرا في استمالة بعض الحكام المسلمين بالترغيب والترهيب ، فكان الوزير ابن العلقمي الذي ذكره المؤرخون انه كان يراسل المغول سرا ويحثهم على غزو بغداد والاستيلاء عليها وغيرهم من الامراء الذين كانوا على علاقة بالمغول منهم حاكم الموصل بدر الدين لؤلؤ الذي امدهم بالجنود والاسلحة لغزو بغداد.

تحرك هولاكو بقواته بعد ان انظم اليه كثير من الامراء نحو بغداد عام ١٢٥٦م بعد ان اعلن عن تأسيس دولة للمغول في ايران عرفت بالدولة الايلخانية (اي نواب الخان الاعظم) وارسل الى الخليفة المستعصم عام ١٢٥٧م رسالة تهديد يدعوه فيها الى فتح اسوار بغداد وان يحضر بنفسه او من ينوب عنه ، واتخذ عدم ارسال الخليفة المساعدات للمغول اثناء حصار قلاع الاسماعيلية ذريعة لمهاجمة بغداد.

استعد هولاكو للهجوم على بغداد فوضع خطته على اساس مهاجمتها من اكثر من جهة وبلغت قواته ما بين ١٥ الى ١٧ الف مقاتل مع من انضم اليهم من قوات امراء الممالك التي خضعت للمغول، قسم هولاكو جيشه الى ثلاثة اقسام الاول يتجه من اسيا الوسطى الى الموصل والثاني يتجه عن طريق خوزستان والثالث يتجه من همدان ، في حين زحف هولاكو بقلب الجيش المغولي عن طريق كرمنشاه

واستعان المغول بالاسرى من الجيش العباسي ليرشدوهم الى الطريق ، في عام ١٢٥٨م عبرت قوات المغول نهر دجلة واوقعت الهزيمة بجيش الخليفة في معركة الدجيل وسار المغول الى بغداد بعد ان فر عدد كبير من جيش الخليفة العباسي وما ان وصلوا اسوار بغداد حتى بدؤا بفرض حصار عليها من جميع الجهات ، حاول الخليفة استرضاء هولاكو وتلبية طلباته لكن الاخير اصر على اقتحام المدينة بعد ان تم حصارها من جميع الجهات ، فلم يجد الخليفة الا الاستسلام في ١٠ شباط / فبراير عام ١٢٥٨م .
ما ان دخل المغول المدينة حتى بدؤا بقتل الناس انتقاما منهم فتم قتل الخليفة واثنين من ابنائه ولم يسلم من بطش المغول من العامة الا من كان مختبأ في الابار او القنوات المائية ، ولم يستطع هولاكو نفسه البقاء في بغداد نتيجة تعفن الجثث التي ملأت الازقة والشوارع وتلوث الهواء ، ولم يسلم منهم حتى الكتب التي كانت في المكتبات وقصور الخلفاء التي تم حرقها ورمي كثير منها في نهر دجلة.

الفراغات

١- يمتد تاريخ العراق الحديث للمدة من **١٢٥٨** الى **١٩١٨**م

٢- اسس هولاكو عام **١٢٥٦م** دولة للمغول في ايران سميت بالدولة **الايلخانية**

اوضاع العراق في ظل حكم الدولة الايلخانية :

القوات العسكرية العثمانية في العراق :

تكونت قوات الولايات العراقية من ثلاثة اصناف وهي :

القوات النظامية: وتعرف باسم قبو قولي وهي مرتبطة بالحكومة المركزية في الاستانة ، وتصبح تحت امرة الوالي في الولايات في وقت الحرب ، وتقسم القوات النظامية الى :

الانكشارية: وتمثل العنصر الرئيس في القوات النظامية وترتبط بالسلطان مباشرة وتخدم بشكل دوري في الولايات لمدة معينة وعند انتهائها تعود الى العاصمة لتحل محلها قوة بديلة ،وقد هيأت الدولة سجلات خاصة بها تعرف باسم قيشلاق دفتري ، وتنقسم هذه القوات الى مجموعات تعرف كل واحدة منها بـ (اورطة) وعلى راسها ضابط برتبة (جور باجي) يساعده ستة من الضباط اقل رتبة منه وهم (الاورطة باشي) اي رئيس الثكنة و (وكيل خرج) وهو المشرف على الانفاق والمؤونة (البيرقدار) وهو حامل العلم و(الباش اسكي) وهو رئيس الحرس وهو اكبر افراد الاورطة سنا واقدمهم خدمة (الاشجي باشا) وهو رئيس الطهاة (السقا باشي) وهو رئيس السقائيين ، فضلا عن كاتب يحفظ السجلات ، كان القائد الاعلى للانكشارية في كل من الولايات العراقية يعرف بأغا الانكشارية يساعده الكتخدا ويرتبط بالسلطة المركزية بالعاصمة الاستانة ، وتصرف لهم رواتبهم على شكل اجور يومية تدفع على شكل اربعة اقساط سنوية فضلا عن منحهم مخصصات خدمة بدل وجودهم خارج العاصمة واسلحة الجنود هي البنادق والسيوف والرماح والاقواس والسهام ، وللانكشاري الحق الحصول على السلاح الذي يريده.

الجبه جية (صناع ومصلحوا الاسلحة) وهو الصنف الثاني من المشاة ، ومهمتهم صناعة وصيانة الاسلحة للانكشارية ونقلها الى ميدان الحرب وتوزيعها واستلامها بعد انتهاء الحملة العسكرية وايداعها في الجبه خانه لحفظها واصلاحها ، ومن مهماتهم ايضا الاهتمام بالحيوانات الخاصة بالنقل والعربات المخصصة لنقل الاسلحة .

الطوبجية (صنف المدفعية) على غرار الانكشارية ترتبط هذه الفرقة بالعاصمة ، ويخدمون دوريا في ولايات الدولة وقلاعها مدة ثلاث سنوات رئيسهم يسمى (طوبجي اغاسي) وكان عددهم يختلف من ولاية الى اخرى حسب موقعها من اراضي العدو، اهتمت الدولة لبناء دور لصب المدافع وصيانتها تعرف (طوب خانة) فكان هناك طوب خانة في حلبجة في ولاية شهرزور واخرى في بغداد ، ولما كان نقل المدافع يؤخر سرعة حركة الجيش فقد تشكيل تنظيم عسكري اضافي وهو كتائب عربات المدافع (طوب عربجية) مهمتهم نقل المدافع والقذائف والبارود.

قوات الوالي : ترتبط بالوالي مباشرة لتعزيز مركزهم والوقوف بوجه اي عصيان فضلا عن ضرب الحركات القبلية ، وابرز الفرق التابعة لقوات الوالي هي : الجند الخيالة (اللاوند) الفرسان الفدائية (الدلاتية) المتطوعون المشاة (السكبان) حملة البنادق (التفكجية).

القوات المحلية : (برلي قولي) : وتتكون من قوات حرس الحدود والقلاع من المتطوعين والفرسان الاقطاعيين (السباهية).

القوات البحرية : بدأ اهتمام العثمانيين بالقوة البحرية في البصرة منذ منتصف القرن السادس عشر بعد ظهور الخطر البرتغالي في الخليج العربي والمحيط الهندي والحملات التي قاموا بها بقيادة (بيري ريس ومراد ريس وسيدي علي ريس) والتي فشلت ولم تحقق اي انجاز بسبب تفوق قوة البرتغاليين

البحرية، واتخذ العثمانيون البصرة قاعدة لهم ولعملياتهم العسكرية في شمال الخليج العربي ولتزويد الاحساء والبحرين بالمؤن والمعدات وحماية حركة الملاحة في الخليج العربي .

وكانت الاسباب التي ادت الى تدهور البحرية العثمانية هي :

١- قيام حكومة ال افراسياب في البصرة وممارستها سياسة عربية مستقلة عن الدولة العثمانية ما بين ١٥٩٦-١٦٨٦م
٢- نظرا لبعد العثمانيين الخليج العربي فقد اهتموا ببناء السفن الحربية الصغيرة واستخدامها في انهار العراق لصد الهجمات الفارسية والسيطرة على القبائل العربية
٣- لم يعد هناك حاجة الى السفن الحربية بعد انتهاء المواجهة مع البرتغاليين في منتصف القرن السادس عشر ، ولم يهتم العثمانيون بالسفن حتى بعد عودة البرتغاليين خلال القرن السابع عشر في العراق ولم يكن اي دور لهذه القوة في الخليج العربي .

استمر انخفاض عدد السفن البحرية الكبيرة طوال القرن الثامن عشر حتى نهاية حكم المماليك كان على رأس القوة البحرية في البصرة قائد يسمى (قبودان باشا) ويعين من قبل السلطان في الاستانة ولم يكن خاضعا للوالي او المتسلم، وبعد ان اصبح العراق خاضع لحكم المماليك اصبح القبودان يعين من قبل والي بغداد وتناقصت صلاحياته الى حد كبير ، ويساعده في عمله بحارة من اليونان والايطاليين من العاملين في الاسطول العثماني ، وكانت رواتبهم تدفع من خزينة الدولة لتبعيتهم للسلطان ، لكن تغير الامر واصبحت رواتبهم تدفع من واردات المقاطعات الكبيرة في كل من بغداد والبصرة ومن ابرز انواع السفن

الغراب : وهي من السفن الحربية التي كانت معروفة في البحر الاحمر والخليج العربي ، وعرفت في العراق خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر.

فرقاطة : تحتوي على عدد من المقاعد يتراوح بين ١٠- ١٧ وان هناك نوعين من هذه السفن منها ما هو صغير واخرى كبيرة .

القاليتة : وهي سفن حربية تحتوي على ٢٠-٢٤ مقعد وتحمل ما يقرب من ٢٢٠ مقاتل في الحرب ، وتسيير بالمجاذيف والاشرعة ، وهناك نوع اخر من هذه السفن الكبيرة تسمى باشتردة وتحتوي على٢٦-٣٦ مقعد

الصراع الصفوي – العثماني على العراق المرحلة الثالثة:

بعد السيطرة العثمانية على العراق عام ١٥٣٤م ، استمرت الاوضاع غير مستقرة في العراق بسبب التمردات والثورات التي كانت تحدث وبدعم من الصفويين ، ومجئ ولاة فاسدين تعاقبوا على حكم بغداد وباقي والولايات لا يهمهم سوى مصالحهم الشخصية ففرضوا ضرائب جائرة واستعملوا القسوة في جبايتها وحالوا الانفراد بالحكم والبقاء على التبعية الاسمية للسلطان ، واستمرت ظاهرة الصراع بين الطرفين في القرن السادس عشر ، فاندلعت الحرب مجددا بين الدولتين بين عامي ١٥٤٨-١٥٤٩م واندلعت ايضا بين عامي ١٥٥٣-١٥٥٥م والتي انتهت بعقد معاهدة اماسيا (وهي المعاهدة التي عقدة في٢٩ايار / مايو عام ١٥٥٥م بين الدولة العثمانية والدولة الصفوية وبموجبها تم الاتفاق على تأكيد تبعية العراق للدولة العثمانية ، وتم ايضا الاتفاق على تخطيط حدود ولاية شهرزور ، وتهد العثمانيون بأمن وسلامة الحجاج الايرانيين) كانت معاهدة اماسيا تمثل سلاما هشا بين الطرفين نظرا

لكثرة المسائل التي تثير النزاع بين الطرفين وكل طرف يتذرع بذرائع عدة كانت سببا لاشتعال الحرب بين الطرفين منها:

١- النزاع بين عشائر الحدود وامرائها لاسيما منطقة كردستان التي كانت تحكمها العشائر المحلية التي كانت طالما تلجأ الى الجانب الصفوي او بالعكس

٢- هجوم عشائر البدو على القوافل التجارية وقوافل الحج

٣- استغلال الشاه طهماسب النزاع بين ابناء السلطان سليمان القانوني بعد وفاته عام ١٥٦٠م بين بايزيد وسليم الثاني فلجأ بايزيد مع عشرة الالاف مقاتل وابنائه الاربعة الى الشاه طهماسب ، وقد استغل الشاه هذا الصراع وحاول الضغط على السلطان سليم من اجل تعديل اتفاقية اماسيا ،وطالب ان تكون النجف وكربلاء تحت ادارة اولاده الامر الذي رفضه السلطان سليم الثاني واستمرت حالة الصراع بعد وفاة الشاه طهماسب الاول عام ١٥٧٤م وتولي العرش ابنه اسماعيل الثاني ، وفي عام ١٥٨٠ م تمكن الصفويون من تحقيق نصر على العثمانيين قرب بغداد ، وتم قعد معاهدة اسنطبول الاولى او معاهدة فرهاد باشا عقدت في ٢١ اذار / مارس عام ١٥٩٠م والتي انهت حالة الحرب بين الطرفين.

لكن الدولة العثمانية اصابها الضعف في مطلع القرن السابع عشر بسبب حكم سلاطين ضعفاء وغير مؤهلين وخسارة العثمانيين على جبهة المجر والبلقان وحصول حركة تمرد في اذربيجان منها الثورة الجلالية في الاقاليم الشرقية من اذربيجان وبمساعدة الشاه عباس الكبير(١٥٨٨-١٦٢٩م) والانتصار الكبير الذي حققته البحرية الاوربية على البحرية العثمانية معركة ليبانتو عام (١٥٧١م) .

لم يكن وضع العراق افضل من ذلك بسبب ضعف الادارة والفساد والتهديدات الصفوية والتمردات العسكرية ، مما مهد لقيام قوة صفوية عام ١٦٠٤م بمهاجمة العراق بقيادة علاء وردي خان وزير الشاه عباس واسرت ٣٠٠ جندي قرب اسوار بغداد ، فضلا عن تمرد محمد بلوك باشا ابن احمد الطويل احد قادة الانكشارية عام ١٦٠٥م الذي سيطر على بغداد حتى اغتياله عام ١٦٠٧م من قبل كتاب ديوانه ، وتولي اخيه مصطفى بك ، وكان ذلك بدعم من الصفويين ، مما دفعهم الى اعلان الحرب مجددا مع العثمانيين انتهت بعقد معاهدة اسطنبول الثانية (وهي المعاهدة التي عقدت في ٢٠ تشرين الثاني / نوفمبر عام ١٦١٢ بين الدولة العثمانية والدولة الصفوية وبموجبها تتعهد الدولة العثمانية بعدم منع المسافرين الايرانيين من المرور باراضيها وسلوك طريق بغداد البصرة ، واكدت تبعية ولاية شهرزور للدولة العثمانية)

رغم عقد المعاهدة الا ان الحرب اندلعت بين الطرفين عام ١٦١٥م وايضا في عام ١٦١٦م انتهت بعقد معاهدة سراب في ٢٩ ايلول / سبتمبر عام ١٦١٨م والتي اكدت بنودها على ما جاء في بنود معاهدتي اماسيا واسطنبول الثانية .

المصالح الاوربية في العراق :

اولا : المصالح الهولندية :

لقد شهد القرن السابع عشر تزايد التنافس الاوربي حو العراق ، فقد اندلع صراع محموم بين الهولنديين والبريطانيين والفرنسيين من اجل الاستحواذ والسيطرة على مقدرات العراق .

كان القرن السابع عشر بداية لظهور المصالح الهولندية في العراق ، من خلال تأسيس شركة الهند الشرقية الهولندية عام ١٦٠٢ ، اذ ظهرت لها بعض المصالح التجارية في البصرة ، وظهرت اول سفينة هولندية في البصرة عام ١٦٣٩ التي كانت مستأجرة من قبل شاه ايران ، ولم يظهر لهذه الشركة اي بعثة تجارية في البصرة الا بعد سنوات ، اذ اوفد مدير المنشآت التجارية الهولندية السير وليبراند جيلنسن عدد من السفن الى البصرة لمعرفة الامكانيات التجارية المتاحة للبصرة ، وكانت البعثة مؤلفة من ثلاث سفن مما اثار المخاوف لدى البريطانيين الذين كانوا الوحيدين لديهم نشاط تجاري في البصرة ، الا ان نشاط شركة الهند الشرقية الهولندية توقف لعدة سنوات خاصة بعد حادث البعثة الاولى التي احترقت احدى سفنها الثلاث بحمولتها مما اثار المخاوف لدى الهولنديين باعادة النشاط التجاري مع البصرة الى عام ١٦٥١ عندما بعثت الشركة عدد من السفن التجارية الى البصرة تحت اشراف مديرها في ميناء بندر عباس ، وتمثل النشاط التجاري الرئيس للشركة في البصرة ببيع منتجات جنوب شرق اسيا من البهارات والسكر والانسجة القطنية الهندية والاواني الخزفية الصينية ، فضلا عن انها جلبت بعض المنتجات الاوربية مثل الانسجة الصوفية الهولندية ، وكانت ارباح هذه الحملات التجارية قليلة نسبيا ، تراجع نشاط شركة الهند الشرقية في البصرة في اواخر القرن السابع عشر بسبب الحروب التي كانت قائمة هناك ، لكن الهولنديون ظلوا يراقبون الوضع على امل اعادة نشاطهم التجاري هناك ، فمع بداية القرن الثامن عشر اعاد الهولنديون فتح مؤسساتهم التجارية في البصرة ، لكن الارباح كانت قليلة نتيجة لاضطراب الاوضاع هناك .

لقد حرص الهولنديون في البصرة على التزام الحياد في الصراع الذي كان دائرا آنذاك بين الدولة العثمانية والقبائل العربية ، مما ادى الى مشاكل للهولنديين مع الدولة العثمانية بسبب موقفهم هذا ، اذ اتهم العثمانيون الهولنديون بدعمهم لتمرد القبائل العربية .

كانت اربعينيات وخمسينيات القرن الثامن عشر فترة رخاء وازدهار للبصرة ، نتيجة للأوضاع المضطربة في ايران ، اذ ان معظم السفن التجارية كانت تتوجه الى البصرة بدلا من موانئ ايران فضلا ان القوافل التجارية البرية كانت تسلك طريق العراق ومنها الى بلاد الشام وسواحل البحر المتوسط ،

وازاء هذا الوضع اصبح المقيم الهولندي في البصرة مستقلا عن الدائرة التجارية الهولندية في ميناء بندر عباس ، وصار المسؤولين الهولنديين خاضعين بشكل مباشر للحاكم العام لشركة الهند الشرقية الهولندية ، غير ان الهولنديين كانوا على علاقة غير جيدة مع الموظفين العثمانيين ، ففي العام ١٧٥٣ قام المقيم الهولندي تيدو فريدرك نبهاوزن برفض المطالب العثمانية الجديدة ، وانتهت الازمة بغلق مقر المقيم الهولندي في البصرة ، وكان رؤساء الشركة يرفضون اجراءات نبهاوزن الذي عرض مبنى الشركة للبيع غير ان الشركة لم ترجع الى المدينة رغم محاولات السلطات العثمانية والتجار المحليين لإقناع الهولنديين بإعادة الشركة .

ثانيا : المصالح البريطانية:

اكتسب العراق اهمية كبرى في السياسة البريطانية في الربع الاول من القرن السابع عشر على اثر تزايد المصالح البريطانية في الخليج العربي ، وتنوعت تلك المصالح منها المصالح الاقتصادية ، اذ عملت بريطانية على ربط الاقتصاد العراقي بالرأسمال الاجنبي ، فتم تأسيس عدد من الشركات البريطانية امثال شركة لنج وشركة كري مكنزي وشركة اندروير ، هذا النشاط الاقتصادي يمثل تغلغل استعماري له ابعاد سياسية ، اذ تمكن رجالات هذه الشركات من الاتصال بالشيوخ وبعض الجماعات المستفيدة من اجل تهيئة الافكار لتقبل وجودهم .

كانت لبريطانيا خلال العهد العثماني ثلاث قنصليات في بغداد والبصرة ، وكان القنصل البريطاني فضلا عن صفته كقنصل بريطاني يتصف بصفة المقيم السياسي ، وكان لها ايضا وكلاء تجاريون في بغداد والبصرة ، واحتلت البصرة مكانة مميزة لديهم واستمر ذلك حتى اواخر القرن الثامن عشر ، وكانت الوكالة التجارية البريطانية او مؤسسة رفعت الى قنصلية.

ايقنت بريطانيا بأهمية الطريق التجاري الذي يتم من خلاله نقل البضائع من الهند الى الخليج العربي ومن ثم الى العراق لتصل الى موانئ البحر المتوسط ، وكان هذا الطريق بيد التجار العرب ، فعملت على تأسيس شركة الهند الشرقية البريطانية عام ١٦٠٠ ونافست هذه الشركة كل من البرتغاليين والهولنديين والفرنسيين ، الى ان تمكنت الشركة من ان تحل محلهم .

في عام ١٦٣٤ اسست شركة الهند الشرقية البريطانية مركزا تجاريا لها في البصرة ، وعين وكيل المركز قنصلا لدولته البريطانية ، في عام ١٧٦٣، فأصبحت له صفة سياسية فضلا عن صفته التجارية واصبحت البصرة مركزا تجاريا للبضائع الانكليزية، تم في عام ١٧٥٥ تعين رجل ارمني بمنصب الوكيل للمصالح البريطانية في بغداد واستبدل بعد عشر سنوات عام ١٧٦٥برجل بريطاني ،

وسرعان ما اصبحت تلك المراكز التجارية دوائر سياسية ، واعطى المقيم البريطاني في بغداد جميع السلطات القنصلية في عام ١٨٠٢ واصبحت بغداد اهم مركز للنفوذ البريطاني.

في عام ١٨٢٢ اخذت شركة الهند الشرقية البريطانية تتصف بالصفة السياسية البحتة ، واوفدت بريطانيا بعثة جنسي للفترة ١٨٣٤- ١٨٣٧ لدراسة امكانية الملاحة في نهري دجلة والفرات ودرست احوال المياه فيهما فضلا عن وضع الخرائط والمصورات الدقيقة لسواحلهما ، واعتمدت تلك الخرائط فيما ومهدت لاحتلال العراق عام ١٩١٤ وهو ما سيتم ذكره لاحقا ، لذلك عمدت بريطانيا الى ربط مدن العراق عام ١٨٦٤بخطوط التلغراف واوصلتها بخطوط الخليج العربي وايران ومنها الى الهند وافتتحت لها مكاتب بريدية في كل من بغداد والبصرة عام ١٨٦٨ وكانت هذه المكاتب تحت اشراف الممثلين الدبلوماسيين البريطانيين ، ظل العراق يحظى بأهمية سياسية واستراتيجية بالنسبة لبريطانية لا سيما القسم الجنوبي منه الذي يعد مدخلا الى الخليج العربي ، وكانت بريطانيا تعول على المقيم السياسي كثيرا كونه يرعى مع موظفيه المصالح السياسية والاقتصادية البريطانية في بغداد ومدن الخليج العربي بما فيها البصرة ، لذلك صرح حاكم الهند جورج كرزون عام ١٨٩٢ ان بغداد لها من الاهمية ويجب ان تدخل ضمن السياسة البريطانية التي لا تنازع .

ثالثا: المصالح الفرنسية :

اولت فرنسا اهتماما خاصا بالعراق ، وجعلت وكالتها في البصرة تنشط للعمل التجاري والسياسي معا ،ففي العام ١٦٢٣ افتتح المبشرون الكرمليون اول قنصلية لهم في البصرة ، وعينت في عام ١٧٦٥ قنصلا مدنيا يتولى القيام بالأعمال وتنفيذ ما يوضع له من خطط ، وتدفق العديد من الفرنسيين على العراق لجمع المعلومات عنه تحت غطاء تنقيب الاثار او السياحة ، وكانت شركة الهند الشرقية الفرنسية التي تأسست عام ١٦٦٤ هي التي اقنعت حكومتها بفتح قنصلية لها في البصرة بغية منافسة النشاط الهولندي والبريطاني هناك ، وقد ارسل المسيو بيرولت وكيل الشركة رسالة الى مجلس الشركة يحثهم فيها على زيادة عدد السفن الفرنسية المتوجهة الى البصرة ، وارسال المساعدات الى الوكلاء الفرنسيين هناك كي يتمكنوا من مواجهة وكلاء شركة الهند الشرقية البريطانية ، وجدد القنصل الفرنسي روسو الطلب من الشركة الاهتمام بتجارة البصرة ، ووصلت في تلك الاثناء سفينة فرنسية الى البصرة تحمل الاسلحة واشتد التنافس البريطاني – الفرنسي على العراق بعد الحملة الفرنسية على مصر (١٧٩٨-١٨٠١) واصبح العراق محور رئيسي لهذا التنافس ، لكن الحروب النابليونية ادت الى اضعاف النفوذ الفرنسي ، فضلا عن قلة التخصيصات المالية التي كانت الحكومة تضعها تحت ايدي

القناصل ، على الرغم من مخاطبة اولئك القناصل لحكومتهم وحثهم على زيادة السفن الحربية القادمة الى الخليج وميناء البصرة ، وبذل السفير الفرنسي في الاستانة الجنرال هوارس سباستياني جهودا كبيرة من اجل تحقيق المصالح الفرنسية في العراق ومواجهة تصاعد النفوذ البريطاني ، كان النفوذ الفرنسي قد بلغ ذروته لدى كل من الدولة العثمانية وايران بهدف اقامة تحالف ضد كل من بريطانية وروسيا ، الا ان هذا النفوذ لم يستمر بعد ان اصبحت بريطانية لها الغلبة والنفوذ في الدولة العثمانية

انقلاب بكر صوباشي :

بدت العلاقة بين الدولتين الصفوية والعثمانية اثر اتفاقية سراب وكأنها تسير نحو الاحسن ، لكن الشاه عباس الكبير لم يكن راضيا تماما على هذه المعاهدة وظل يتحين الفرص للانقضاض على الدولة العثمانية ، فقد سعى الشاه الى اضعاف الدولة العثمانية من خلال فرض حصار اقتصادي بالتعاون مع انكلترا بعدما استطاع من طرد البرتغاليين من مضيق هرمز واخذ يتحكم بتصدير الحرير منه الى اوربا على سفن تابعة لشركة الهند الشرقية الانكليزية ، مما حرم الدولة العثمانية من ضريبة المرور (الترانزيت) ، فضلا عن حدوث اضطرابات داخلية في الدولة العثمانية انتهت باغتيال السلطان عثمان الثاني ، واعادة تنصيب السلطان مصطفى الاول عام ١٦٢٣م ، واصبحت الفرصة سانحة للشاه عباس الكبير لاستعادة العراق عندما حدث انقلاب بكر صوباشي .

كان بكر صوباشي احد افراد الانكشارية في بغداد الذي كان تحت امرته ١٢٠٠٠ مقاتل ، كان بكر صوباشي هو الحاكم الفعلي لبغداد ولم يكن لوالي بغداد يوسف باشا من السلطة الا الاسم ، مما ادى لتزايد نفوذ بكر صوباشي ، واثار ذلك نقمة كبار قادة الانكشارية الذين اخذو يتحينون الفرص للتخلص منه ، ووجدوا الفرصة سانحة لهم عام ١٦٢١ م عندما خرج بكر صوباشي الى منطقة الفرات الاوسط واناب عنه ابنه محمد في بغداد ، فوجد المعارضون له فرصة للإطاحة به والتخلص منه ، لكن انباء المؤامرة وصلت الى بكر صوباشي ، فاسرع بالعودة الى بغداد وفرض حصارا شديدا على القلعة وقتل الوالي يوسف باشا ، واصبح بكر صوباشي بعد قضائه على التمرد حاكما على بغداد ، فكتب الى الباب العالي يطلب منه الاعتراف به حاكما على بغداد الا ان الباب العالي رفض طلبه ، وطلبوا منه ان يسلم الولاية لنائبه المتسلم علي اغا ، الا انه رفض ذلك ، فأرسلت الدولة العثمانية حملة بقيادة حافظ احمد باشا من اجل القضاء على بكر صوباشي ، وما ان وصلت القوات العثمانية مدينة بغداد حتى فرضت عليها حصار شديدا ، الامر الذي اضطر بكر صوباشي ان يبعث الى الشاه عباس الكبير مفاتيح بغداد وكان الشاه يتحين مثل هذه الفرصة لاستعادة سيطرته على العراق ، الا ان حافظ احمد باشا وبعد ان علم باتصال صوباشي بالشاه عباس الكبير ، وبعد مفاوضات بين الطرفين واصرار بكر صوباشي بان يكون واليا على بغداد اضطر حافظ احمد باشا بالموافقة على حكم بكر صوباشي لولاية بغداد ، وما ان انسحبت القوات العثمانية من بغداد حتى وصل رسول الشاه الى والي بغداد بكر صوباشي يطالبه بتسليم المدينة كما وعد سايقا ،الا ان بكر رفض ذلك وتعهد بتحمل تكاليف القوات الصفوية لكن لن يسلم بغداد اليهم ، الامر الذي اضطر الشاه عباس بان يفرض حصارا شديدا على المدينة وطلب من بكر ان يبقى واليا على المدين مقابل ان يعلن تبعيته للشاه وهو ما رفضه بكر ، استمر الحصار الصفوي ثلاثة اشهر ولم تستجب السلطات العثمانية لطلب بكر صوباشي بإرسال قوات وامدادات لمساعدته في فك الحصار ، وتمكنت القوات الصفوية من دخول بغداد يوم ٢٨ تشرين الثاني / نوفمبر عام ١٦٢٣م واسر بكر صوباشي واخوه عمر وتم اعدامهما اما ابنه محمد فقد كان قد التجاء الى الشاه وقيل هو من

ساعد على احتلال بغداد ، وبعد احتلال بغداد توجهت قوة صفوية الى كركوك التي دخلتها دون مقاومة واخرى الى الموصل التي تمكنت من احتلالها ايضا واستمرت تحت السيطرة الصفوية مدة ثلاث سنوات ليقع العراق مرة اخرى تحت سيطرة الصفويين قبل ان يتمكن العثمانيين من استعادته في السلطان مراد الرابع.

العراق في العهد العثماني الثاني ١٦٣٨-١٧٥٠م :

الاوضاع السياسية العثمانية عند اعتلاء السلطان مراد الرابع العرش:

اعتلى السلطان مراد الرابع العرش في ١٠ ايلول / سبتمبر عام ١٦٢٣م وكان صبيا لا يتجاوز عمره ١٢ عاما ، وكانت والدته السلطانة (كوسم) هي المهيمنة على الحكم حتى عام ١٦٣٢م عندما استطاع السلطان من اخذ زمام الحكم بيده بعد تخلص من المشاكل الداخلية .

واجه السلطان مراد بعد تسلمه الحكم عدة مشاكل على الصعيد الداخلي والخارجي ، فعلى الصعيد الداخلي استمر تمرد الانكشارية وتدخلهم في شؤون الدولة ، اذ انهم خرجوا عن وظيفتهم العسكرية القائمة على سمع واطاعة وخدمة السلطان حتى بدؤا يتدخلون في تعين وعزل الصدر الاعظم ، هذه الفوضى من قبل الانكشارية بدأت بعد وفاة السلطان سليمان القانوني ، فلم يسمحوا للسلطان سليم الثاني (١٥٦٦-١٥٩٥) باعتلاء العرش حتى يدفع لهم الاعطيات ، وتم عزل السلطان عثمان الثاني (١٦١٨-١٦٢٢) ، ومن ثم قتله على ايديهم ، وبعد تولي السلطان مراد الرابع اجبروه على تعين رجب باشا كصدر اعظم .

كذلك فأن علماء الدين اخذوا يتسامحون في الامور الشرعية ، والأسوء من ذلك افلاس خزينة الدولة بعد انغماس السلاطين والوزراء باللهو التي كانت تجري في البلاط خاصة على النساء التي كانت من اسباب ضعف الدولة .

اما على الصعيد الخارجي فقد كانت الاتجاهات اللامركزية والنزعات الانفصالية في بعض الولايات العثمانية ، يكشف لنا عن مدى الضعف الذي وصلت اليه الدولة ، ففي اسيا الصغرى ثار اباظة باشا ومعه ٤٠ الف من الانكشارية ضد الدولة واخذ يجمع الضرائب ويهاجم الولايات المجاورة بحجة الانتقام لمقتل السلطان عثمان الثاني ، كما ان الامير الدرزي في لبنان فخر الدين المعيني الثاني الذي كانت له علاقات وثيقة مع القوى الاوربية المناهضة للدولة العثمانية مثل فلورنسا والبابوية ، مما شجعه على تقوية امارته وتوسيعها لمواجهة الصدام الذي كان يتوقع حدوثه اجلا او عاجلا مع القوى العثمانية في طرابلس ودمشق ، وهكذا نرى ان الدولة العثمانية كانت تعاني من مشاكل داخلية وخارجية عند اعتلاء السلطان مراد الرابع العرش ، وقد اشتهر بأنه اخر السلاطين الذي استطاع من

اعادة القوة والهيبة الى الدولة العثمانية ، ولم يترك الاوضاع على ما كانت عليه ، بل اتخذ سلسة من الاجراءات في مواجهة القوى المناهضة للدولة والقضاء على المعارضة الداخلية المتمثلة بالانكشارية.

الحملات العثمانية لاستعادة العراق (١٦٢٥-١٦٣٨)

كان سقوط بغداد في ايدي الصفويين امر في غاية الخطورة بالنسبة للدولة العثمانية ، وعلى الرغم من مرحلة الضعف التي كانت تمر بها ، فإنها لم تتوان عن محاولة استعادة مدينة بغداد فارسلت الحملات العسكرية الواحدة تلو الاخرى لاسترجاع مدينة بغداد على الرغم من نجاحها في ذلك ومن هذه الحملات:

١- حملة حافظ احمد باشا ١٦٢٥م:

اسندت الدولة العثمانية مهمة استرجاع بغداد الى الصدر الاعظم حافظ احمد باشا وفي نفس الوقت ارسل السلطان مراد الرابع قوة من حرسه الخاص للسيطرة على الحلة وكربلاء وما ان وصلت انباء التحركات العثمانية الى الشاه عباسة الكبير ارسل قوة قدرت بثمانين الف مقاتل من القزل باش لمساعدة الحامية الصفوية في بغداد ، فوصلت تلك القوات الى بهرز في ديالى وتمكنت من مد جسر من السفن على نهر ديالى لتعبر القوات باتجاه بغداد، وحاولت القوات العثمانية قطع الامدادات عن القوات الصفوية المتمركز في الحلة وكربلاء مع القوات الموجودة في بغداد ، فتوجهت قوة عثمانية بقيادة والي ديار بكر مراد باشا الى بغداد في تشرين الثاني / نوفمبر عام ١٦٢٥م والتحقت معها قوات من الاناضول ليصبح عددها ما يقرب من ١٥ الف مقاتل ، واصطدمت بالقوة الصفوية التي تمكنت من الوصول الى بغداد على الرغم من محاولة العثمانيين قطع خطوط الامدادات عليها .

في هذا الوقت قاد الصدر الاعظم حافظ باشا قوة كبيرة من الروملي والاناضول ومن مصر والشام سلكت هذه القوات طريق ماردين واسكي موصل مرورا بالاراضي بين الزابين الاعلى والاسفل ووصل الى كركوك ، فعقد اجتماع لمناقشة الخطط وكيفية التوجه الى بغداد ، فاقترح السيطرة على المناطق الحدودية لقطع الامدادات عن الصفويين ثم التوجه الى بغداد لان التوجه مباشرة اليها لا يجدي نفعا وان حملة مراد باشا لم تحقق اهدافها ، فانقسم قادة الحملة الى فريقين فريق مؤيد لراي الصدر الاعظم وفريق معارض له ، مما ادى الى فوضى في صفوف الجيش نتيجة لهذا الانقسام ، فوافق الصدر الاعظم على راي الفريق الذي طالب بالتوجه نحو بغداد مباشرة ، في هذه الاثناء وصل رسول من حاكم بغداد الصفوي صفي قولي يعرض على الصدر الاعظم التفاوض مع الشاه عباس الكبير لكن الصدر الاعظم رفض ذلك وارسل سليمان باشا الى الموصل لغرض جمع الذخيرة ، وابقى على قوة في كركوك خوفا من مهاجمة الصفويين لها ، وصل حافظ باشا الى جوار مرقد الامام الاعظم ابو حنيفة النعمان في ١١

تشرين الثاني / نوفمبر عام ١٦٢٥ والتعب قد بدا على جيشه الذي اتخذ اماكن له حول سور بغداد وفرض حصار على بغداد استمر لمدة شهرين ، وحاول العثمانيون تفجير السور بالالغام وتمكن الصفويون من صد الهجوم ووقعت خسائر كبيرة في صفوف العثمانيين ، فضلا عن خسائرهم في شهربان ، مما اضطر حافظ باشا لعقد اجتماع لتلافي هذه الخسائر وطالب الانكشارية بمواصلة القتال على الرغم من مطالبة بعضهم بالانسحاب ، فوافق حافظ باشا على الاستمرار في القتال وطلب امدادات عسكرية من الباب العالي ومن القوات المتمركزة في البصرة ، حلت الفوضى والاضطرابات بين صفوف العثمانيين نتيجة للخسائر التي لحقت بهم وبدا الصفويون يضيقون الخناق على العثمانيين وقطعوا طرق الامدادات اليهم من الحلة وطلب الشاه من الصدر الاعظم فصل بغداد عن الدولة العثمانية وهو ما رفضه الصدر الاعظم وجرت المعركة الاخيرة في ٢٧ ايار / مايو عام ١٥٢٦م وكانت غير متكافئة بسبب وصول الامدادات الى الصفويين بقوة عسكرية يقودها الشاه بنفسه مما رفع معنويات مقاتليه ، اما الجيش العثماني كان ينقصه الضبط والقيادة الحازمة فضلا عن نقص الذخيرة والعتاد استمرت المعارك كر وفر بين الطرفين دون تحقيق نتيجة ، مما اضطرهم للدخول في مفاوضات طالب فيها الصفويون بتعبية بغداد اليهم وطالبوا مرة اخرى بالنجف مقابل التخلي عن بغداد للعثمانيين وهو ما رفضه الصدر الاعظم ، ونتيجة لذلك حصل انشقاق في صفوف قادة الانكشارية بسبب موقف الصدر الاعظم ، فهجم على خيمته مجموعة من الجند والقوا القبض عليه متهمين اياه بالتواطؤ وسجنوه في قبة الامام الاعظم ، وافرجوا عنه نتيجة لموقف احد القادة الذي اشار انه لا يجوز عزله الا بأمر من السلطان واثر ذلك في نفوسهم ، واضطر الصدر الاعظم بسبب هذا الوضع المرتبك الى لانسحاب الى الموصل وترك بغداد .

هناك عدة اسباب وراء فشل حملة حافظ احمد باشا في استعادة بغداد منها:

١- قلة الارزاق وتفشي الامراض في صفوف الجيش العثماني

٢- انهيار معنويات الجيش بسبب الفشل في تحقيق نصر حاسم على الصفويين

٣- تمرد الانكشارية بسبب طول فترة الحصار وعدم وصول الامدادات

وما ان وصل الى العاصمة الاستانة حتى اقيل من منصبه لفشله في استعادة بغداد من الصفويين ، وحل محله خليل باشا الذي لم يستمر سوى بضعة اشهر في الصدارة ومن ثم تولى خسرو باشا الصدر الاعظم والذي كان مشهورا بالشجاعة ليقود بنفسه حملة لاستعادة بغداد من الصفويين

اوضاع العراق بين عامي ١٦٣٨- ١٧٠٤

عاش العراق خلال هذه الفترة ظروفا سيئة نتيجة لسنوات من الاحتلال الصفوي وحروب الاسترداد العثمانية التي سببت الكثير من الدمار والخراب في بغداد ، اذ تميز تاريخ ولاية بغداد حتى اوائل القرن الثامن عشر بالاضطراب وتغير كثير من الولاة ، اذ حكم في هذه الفترة ٣٩ واليا لم يترك أياً منهم عند عزله اي اثر يذكر لهم ، اذ ان سرعة تغير الولاة ساعدت على عدم الاستقرار في ولاية بغداد ، فضلا عن ان هذه الفترة شهدت تمردات الانكشارية واضطراب حالة الامن خارج اسوار المدن ، مما كان له الاثر السيء على الانشطة الاقتصادية كالزراعة والتجارة ، ومما ساعد على تدهور الوضع ايضا كثرة الفيضانات والاوبئة والجفاف والقحط الذي ادى الى تعطيل مجمل الحياة الاقتصادية .

حاول السلطان مراد الرابع تنظيم الامور في بغداد ، فبادر الى زيارة مرقد الامام ابو حنيفة النعمان ثم زار مرقد الامام موسى الكاظم ، كذلك عمل على تنظيم الامور الادارية في ولاية بغداد ، فعين حسن باشا وهو من اغا الانكشارية واليا على بغداد ، كما قرر ترك حامية مؤلفة من ثمانية الاف جندي لحماية بغداد جعل عليها قائدا هو بكتاش اغا ، وتم تعين سلحدار باشا بمنصب القبودان ، اما منصب القاضي عهد به مصطفى التذكره جي ، كان هم حسن باشا هو ترميم اسوار بغداد التي دمرت بفعل الحرب واعادة سكانها الذين لجأؤا الى اطراف بغداد هربا من المعارك ، الا انه عزل في ٤ ايار / مايو عام ١٦٣٩ ، وحل محله درويش محمد باشا ، الذي استهل عهده باضطرابات العشائر في منطقة السماوة من قبل الشيخ مهنا بن علي شيخ الخزاعل ، الذي فرض سيطرته على السماوة واطرافها ، وتمكن درويش باشا من القضاء على هذا التمرد ، تولى حكم ولاية بغداد بعده حسن باشا للمرة الثانية عام ١٦٤٢، فقام ببناء ثلاثة ابراج في منطقة باب المعظم ، وبنى جامعا عرف بجامع عتيق حسن باشا ، وبعد عزله تولى الحكم حسين باشا دلي الذي لم يستمر حكمه طويلا فعزل عام ١٦٤٤ بعد ستة اشهر على تولي الحكم ، خلفه في الحكم محمد باشا عام ١٦٤٥ الذي عزل بعد سنة واحدة من حكمه ، ليخلفه موسى باشا الذي شهد عهده نزاع بين الجيش الانكشاري والقوات المحلية ، ليتولى الحكم ابراهيم باشا عام ١٦٤٦ ، ومما يدل على ضعف الحاكم هو نقمة الجيش الانكشاري على ابراهيم باشا اذ اتهموه بتقريب القوات المحلية الى جانبه ، وحاول الانكشارية التخلص منه ، خاصة بعد ان رفض امر عزله من السلطان مستعينا بالقوات المحلية وقد اتهموه بانه يرفض امر السلطان فحاول اقناعهم بأنه لم يخرج على طاعة السلطان فتوجه الى القلعة ليشرح لهم الامر فتم القاء القبض عليه ونفذ به حكم الاعدام بموجب فرمان من الباب العالي ، وتولى الحكم بعده موسى باشا السمين الذي نقم من سكان بغداد ، الا ان الباب العالي استدعاه ونفذ حكم الاعدام عام ١٦٤٨، وتولى الحكم بعده احمد باشا الذي لقب بالملك ، لحسن سلوكه وتعامله مع الناس وفضائله وبقي في

الحكم حتى عام ١٦٥٠ اذ اصبح صدر اعظم لدى الباب العالي ، تولى الحكم بعده ارسلان باشا الذي لم يدم حكمه سوى ستة اشهر اذ توفي بمرض الزحار ، ولم يكن خلفه حسين باشا احسن حظا منه اذ توفي هو الاخر بنفس المرض ، وفي عهد الوالي قره مصطفى باشا الذي قدر له تولي حكم بغداد ثلاث مرات لم تكن مدينة بغداد بالمستوى المطلوب فقد وصفها الرحالة الفرنسي تافرنيه الذي زارها عام ١٦٥٢ ، انها مدينه ساذجة لا جمال فيها اللهم اسوقها المسقفة ، وفيها خمسة جوامع وعشر خانات بنائها قديم ، وفيها تجارة واسعة لكن ليست كما كانت في ايام الاحتلال الصفوي ، وقدر عدد سكانها بـ ١٥ الف نسمة ، وقلة عدد السكان يرجع الى الحروب بين العثمانيين والصفويين فضلا عن الكوارث والاوبئة التي كانت تحصد ارواح الناس ، في عام ١٦٥٣ تولى حكم بغداد مرتضى باشا الذي عرف بنزعته الدينية وتقربه من الفقراء ، تولى الحكم بعده في عام ١٦٥٥ محمد باشا الابيض الذي كان طوال فترة حكمه التي استمرت سنة واربعة اشهر مريضا غير قادر على ادارة امور الولاية ، مما اثار اطماع الانكشارية به ، لكنه تمكن من قتل زعيمهم عبدي باشا بعد ان استدرجه الى مجلسه ، فثار الانكشارية محاولين قتله والثائر لقائدهم ، في هذه الاثناء جاء المبعوث السلطاني حسين اغا للاطلاع على اوضاع الولاية فوجد الفوضى في ارجائها فاخبر السلطان محمد الرابع (١٦٤٨ – ١٦٨٧) بحال الولاية فاصدر امر سلطاني بعزل محمد باشا الابيض ، وتولى محمد باشا الخاصكي حكم الولاية عام ١٦٥٦ وقد اشتهر بنزعته الدينية واهتم ببناء المساجد فبنى جامع عرف باسم جامع الخاصكي ، في عهده حدث تمرد من قبل الانكشارية مما اضطر الخاصكي الى الهرب الى الجانب الغربي من بغداد ، لكن ما لبث ان عاد الى حكم الولاية بعد قرر الانكشارية مصالحته والقضاء على الفتنة ، فانزل غضبه على المحرضين على الفتنة وقطع الرواتب عنهم ، وفي عهده ايضا حدث فيضان مدمر عام ١٦٥٦ الامر الذي ادى الى تدمير الكثير من المباني وحاول الخاصكي اعادة بناء ما دمره الفيضان وصرف امولا كثيرة ، وانتهى حكمه عام ١٦٥٩ ، وتولى مرتضى باشا الحكم مرة ثانية ومن اهم اعماله

١- كري وحفر نهر الدجيل بمساعدة الاهالي

٢- الغى ما كان يتقاضاه الموظفون من المخصصات السنوية البالغة اكثر من مائة كيس من الذهب .

٣- ثبت الوارد والمصروف من الخزينة ودونها في دفاتر خاصة

٤- رفع سعر القرش من ثمانين بارة الى تسعين بارة مما اثقل كاهل دافعي الضرائب والرسوم .

انتهى حكمه عام ١٦٦١ بعد رفض امر السلطان بعزله ونقله الى جزيرة كريت ليتم قتله بامر من السلطان .

جاء الى حكم بغداد مصطفى باشا الاحدب ثم عزل عام ١٦٦٣ ، لقد عانت بغداد كثير من سرعة تبدل الولاة وتنقلهم مما ادى الى عدم استقرار سياسي ، اذ لا يتيح للوالي الفرصة الكافية في ادارة ولايته ولا يمكن لكثير من الولاة اجراء اصلاحات اقتصادية او اجتماعية ، عدا البعض منهم ممن قام ببعض الاعمال ، فضلا عن ان تبدل الولاة والكوارث الطبيعية هي الاخرى ساهمت في ايجاد عدم استقرار ففيضان نهر دجلة في الاعوام ١٦٤٩ و ١٦٩٣ دمر كثير من الاراضي الزراعية ، وحدث في عام ١٣٩٠ ان انتشر مرض الطاعون في بغداد ، هذه الظروف ساهمت في تدهور الوضع الاقتصادي مما اضطر الوالي علي باشا عام ١٧٠٣ الى طلب ٤٠٠ كيس اقجة لدفع رواتب الجند المحليين بعد ان عجزت الخزينة عنها .

يمكن ان نحدد جملة من الاسباب التي كانت وراء سرعة تبدل الولاة منها :

١- بعد ان كان الولاة يعينون في اول الامر حكاما مدى الحياة ما دام سلوكهم حسنا ، فأن القانون الذي سنه السلطان مراد الثالث (١٥٧٤- ١٥٩٥) والذي كان يقضي بعزل حكام الولايات كل ثلاث سنوات ، ثم خفضت هذه المدة الى سنة واحدة ، ولم تكن هذه القاعدة ثابتة فهناك ولاة دام حكمهم اكثر من سنة وولاة لم يستمر حكمهم سوى بضعة اشهر .

٢- تضاعف عدد المرشحين للوظائف العليا بعد الغاء نظام الدوشرمة ، اذ انه رفع قدر اعداد كبيرة من الانكشارية ، مما ادى الى يدخل هؤلاء في صراع عنيف فيما بينهم للوصول الى الصدارة ، واصبح لهم حلفاء ، لذا كان حكام الولايات يعيشون في خوف من المؤامرات ضدهم

٣- الصراع بين الانكشارية والقوات المحلية ، فكثيرا ما كان هذا الصراع سبب في عزل او قتل الولاة

٤- قلة كفاءة بعض الولاة وجهلهم في ادارة الحكم وظلمهم للناس ، مما يؤدي الى ثورة العشائر ضدهم والخروج عليهم ، مما يؤدي الى سرعة نقلهم او عزلهم من اجل السيطرة على الاوضاع

توفي هولاكو في مدينة اذربيجان يوم ٨ شباط / فبراير ١٢٦٥م بعد ان ترك دولة مترامية الاطراف تشمل اقاليم والعراق وجزء من الاناضول ، تولى عرش الدولة الايلخانية بعد هولاكو ابنه الاكبر اباقا (١٢٦٥-١٢٨٢م) ، وابقى اباقا على رجال الادارة السابقة في ادارة الدولة ، واتخذ من تبريز عاصمة بدل من مراغة.

كان على راس الامبراطورية الايلخانية الحاكم المغولي الاعلى ويدعى ايلخان ، وهو من اهم الالقاب الكثيرة التي تلقب بها الامبرطور المغولي ويعني في الايغورية سيد القبلية ، وهناك لقب قا آن ، وبادشاه ويعني السلطان / الملك الكبير ، واحيانا يرد بصيغة سلطان / ملك العالم او الدنيا ومن الالقاب التي استخدمها الاباطرة المغول هو السلطان وهو لقب عربي.

كانت ادارة الامبراطورية الايلخانية لا مركزية ، ويتمتع حاكم العراق بدرجة من الاستقلال في ادارة شؤونه مقابل تقديمه المال اللازم لخزينة الامبرطور وارسال القوات العسكرية المناسبة له في حالات الحرب ، هذه المركزية لم تكن كاملة اذ ان الامبرطور كان يرسل مشرفا يستقصي شؤونه عن كثب ويرفع اليه تقريرا عنه ، كانت سلطة الايلخان اعلى سلطة وله الحق في قتل من يريد ولم تكن للشعب اية حقوق بل عليه واجبات منها الطاعة وفرض الضرائب

اهم سمات حكم الدولة الايلخانية في العراق :

١- عدم الاستقرار

٢- الفساد

٣- عزل وقتل الاداريين بسبب الوشايات

٤- استمرار الاضطرابات خارج المدن

٥- خراب الذي عم البلاد في مختلف الجوانب

فقدت بغداد مكانتها المتميزة في العالم الاسلامي وحل الخراب والدمار محل الازدهار والاعمار الذي كانت عليه في ظل الخلافة العباسية ، قسمت الدولة الايلخانية العراق الى ثلاثة اقاليم هي :

١- اقليم الجبال ويشمل شهرزور

٢- اقليم الجزيرة الفراتية ويشمل ماردن والموصل وسنجار والعمادية واربيل

٣- اقليم العراق وعاصمته بغداد ويمتد ما بين الزاب الاعلى الى عبادان

على رأس كل اقليم شخص مسؤول يلقب بالصدر وهي وظيفة عرفت في العصر العباسي الاخير ،

س/ كانت الاقليم في عهد الحكم الايلخاني في كثير من الاحيان شكلية ويصعب تعين حدودها وحصر المدن المرتبطة بها.

ج / يرجع ذلك الى عدم الاستقرار السياسي والعسكري والاقتصادي مما ادى الى تغير مستمر في حدودها.

ان ادارة الحكم الايلخاني للعراق في معظمها هي امتداد للإدارة في العصر العباسي الاخير اذ ابقى الاحتلال على بعض الاداريين من العهد العباسي ليضعوا اسس تنظيم الامور الادارية في العراق ، فأخذت الامور تعود شيئا فشيئا الى طبيعتها بعد ان بدأ هؤلاء الاداريين بترميم ما يمكن ترميمه من المساجد والمدارس والقصور والدور والاسواق بعد حل بها الخراب والدمار والاهمال ، رغم ذلك بقى الارتباط العام لهؤلاء الاداريين بأمراء المغول ويرجعون اليهم في كثير من الامور.

من المناصب المهمة التى ابقى عليها المغول هو منصب قاضي القضاة الذي كان من يشغله يحتل منزلة رفيعة وجليلة وكان امر تعينه يصدر من السلطان نفسه ، مهمة قاضي القضاة هي الحكم بالامور الشرعية وتثبيت الحجج والوثائق وعقود الزواج.

بقت الادارة العسكرية بيد المغول وكان صاحبها يسمى بالشحنة وهو منصب كان قد استحدثه السلاجقة في القرن الحادي عشر الميلادي وشاع في البلاد الاسلامية ، اهم واجبات الشحنة هي استتباب الامن في البلاد والقضاء على التمرد والانتفاضات، ومراقبة صاحب الديوان اي حاكم العراق الاداري لضمان ولائه للايلخان .

الاوضاع العامة في العراق في العهد الايلخاني:

لقد تدهورت الاوضاع العامة في بغداد عقب الاحتلال المغولي لها جراء اعمال التخريب والتدمير التي تعرضت له ، فلم يبقى في الجانب الغربي فيها الا محال متفرقة وخرب الجانب الجانب الشرقي منها ايضا.

من المعروف ان رخاء العراق يعتمد بالدرجة الاولى على الزراعة التي يقوم تطورها وازدهارها على نظام الري ، لكن السلاطين الاليلخانين وحكامهم في العراق لم يهتموا بتطهير وكري الانهار والقنوات الامر الذي ادى الى فيضانات سببت دمارا كبيرا لعل من اشهرها فيضانات ١٢٧٧ و ١٢٨٤ و١٢٨٦م ، هذا الاهمال ادى الى تفاقم الاوضاع الاقتصادية والمعاشية صاحبه تردي الوضع الصحي نتيجة قلة عدد المستشفيات مما ادى الى انتشار الاوبئة والامراض في العراق ، مما زاد في سوء الاوضاع هي موجات الجراد التي اجتاحت العراق انذاك واثرت كثيرا على المحاصيل الزراعية.

تدهورت التجارة ايضا في عهد الاحتلال المغولي ولم تساعد المحاولات التي قام حكام العراق من الاداريين على النهوض بواقع التجارة ،فضلا عن ان الضرائب التي كانت ثقيلة وخاضعة لأهواء الحكام وجشعهم وتفرض على التجار وعلى عامة الناس ، ومن هذه الضرائب ضريبة الخراج وضريبة الرؤوس او الجزية وضريبة الدمغة وضريبة الاسواق والعقارات وغيرها من الضرائب مما زاد في تفاقم الاوضاع الاقتصادية وانحسر تتطور وعمران المدن وانتشرت البداوة.

كثيرا ما كانت الصراعات على العرش الايلخاني سبب في زيادة اهمال الاوضاع في العراق على الرغم من بعض المحاولات الاصلاحية من جانب الحكام الا انها لم تكن كافية في اعادة الامور الى ما كانت علية قبل الاحتلال المغولي.

كان لاحتلال المغول للعراق اثر سلبي على الحياة الثقافية بعد تدمير وحرق المدارس والمكتبات وقتل كثير من العلماء ، فضلا عن نقل من تبقى من العلماء البارعين في مجال الفلك والرياضيات والطبيعة الى عاصمة الدولة المغولية ، رغم ما حصل من قتل وتدمير للمكتبات والمدارس الا ان يرجع الفضل لبعض العلماء من بقوا احياء في المحافظة على بعض الكتب والمؤلفات القديمة منهم نصير الدين الطوسي ، كذلك علاء الدين الجويني الذي كان حاكما لبغداد وحاول احياء الحياة الثقافية فيها ، فأهتم بإعادة المدرسة المستنصرية والنظامية فضلا عن كونه كان مؤرخا الف كتابا عن تاريخ المغول، وقامت زوجته عصمت الدين بأنشاء مدرسة هي المدرسة العصمتية في القسم الشرقي من بغداد عام ١٢٧٩م.

حاول بعض الامراء المغول الذين اعتنقوا الاسلام الاهتمام بالحركة العلمية واعادة بناء المساجد والمدارس والاوقاف مثل السلطان تكودار الذي سمى نفسه احمد بعد اعتناقه للاسلام.

المقاومة المسلحة للاحتلال المغولي:

على الرغم من القسوة التي اتبعها المغول في السيطرة على المدن الان ذلك لم يمنع ان تظهر بعض المدن مقاومة مسلحة ضدهم فقد شهدت مدن الحلة وواسط واربيل والموصل مقاومة عسكرية للمغول ، اذ هرب امير الحلة شمس الدين سلار بقسم من قواته ضنا منه بمقاومة المغول الا انه لم يفلح بذلك فلجأ الى الحجاز ، اما في واسط التي وصلها الجيش المغولي بعد احتلال بغداد فقد قاومت الجيش المغولي ولكن تفوق المغول العددي رجح كفتهم وتم اخضاعها لسلطتهم ، كذلك بالنسبة لاربيل التي حاول المغول دخولها فتحصن اهلها في قلعة اربيل ولم يتمكن المغول منها رغم كل محاولاتهم ، فطلبوا من والي الموصل بدر الدين لؤلؤ مساعدتهم فارسل لهم الجنود لكن لم يتمكنوا من دخول القلعة .

تبعت الموصل اربيل في الثورة على المغول بعد وفاة بدر الدين لؤلؤ عام ١٢٦٠م اذ تولى الحكم ابنه الملك الصالح اسماعيل الذي اعلن الثورة على المغول الذين ارسلوا قواتهم اليها ، فرتب الملك الصالح دفاعات المدينة وابوابها ، وحصار المغول اسوار المدينة قرابة شهر ولم يتمكنوا من دخول المدينة رغم قصفها بالمنجنيق ، وحاول المغول ارسال تعزيزات لاقتحام المدين فارسل الملك الصالح طالبا النجدة من والي حلب ووالي مصر ، استجاب والي حلب شمس الدين البرلي وجاء على راس قوة لمساعدة الموصل ، الان ان المغول ارسلوا قوة لملاقاة والي حلب ودارت معركة في سنجار انتهت بهزيمة والي حلب وجنوده نتيجة لتفوق قوات المغول في العدة والعدد.

وبعد ان طال امد الحصار على الموصل ونفذت المؤن طلب الملك الصالح الامان له ولأهل بلدته ، فاستجاب القائد المغولي لطلبه وعندما خرج مع ابنه علاء الملك قتله القائد المغولي وارسل الملك الصالح واخيه الى هولاكو الذي امر بقتلهما واستبيحت المدينة لمدة تسعة ايام .

تمكنت بعض القبائل العربية من ان تطرد المغول من عدة مناطق ليقتصر وجوده على المدن ، ومن هذ القبائل ال ربيعة وال فضل الذين استفادة منهم دولة المماليك في بلاد الشام في مواجهة الخطر المغولي ، كذلك الحال لقبيلة خفاجة وبني اسد ، الذين اعلنوا الثورة ضد الغزاة عام ١٢٨٤م ، وهاجموا المغول وقتلوا عددا منهم ، وفي عام ١٢٩٣ ثارت القبائل العربية في عين التمر وكبيسات ضد المغول غالبا ما كانت هذه الثورات تقوم عندما يشرع المغول بمهاجمة بلاد الشام وتوابعها.

اوضاع العراق في العهد الجلائري ١٣٣٦-١٤١٠م:

ينتمي الجلائريون الى احدى القبائل المغولية التي ارتبطت بعلاقة مصاهرة مع الاسرة الايلخانية ، اذ تزوج حسين والد الشيخ حسن من ابنة الايلخان ارغون ، وكان جده احد الامراء المشاركين في احتلال بغداد من قبل المغول عام ١٢٥٨م لهذا نال ابناء هذه الاسرة الحظوة عند الايلخان الذين اعتمدوا عليهم في قمع الثورات والتمردات وادارة بعض الولايات.

كان الشيخ حسين واليا على خرسان وابنه الشيخ حسن واليا على بلاد الروم ، وبعد وفاة ابي سعيد بهادر اخر الحكام الايلخانين قاد الشيخ حسن جيوشه وتمكن من احتلال بغداد واتخذها عاصمة له سنة ١٣٣٦م ، ومنها نظم امور دولته التي امتدت في عهد ابنه السلطان اويس (١٣٥٦-١٣٧٤م) لتشمل العراق الاحواز وديار بكر وبلاد الجبل واذربيجان.

وشهد العراق في عهد السلطان حسن وابنه اويس نوعا من الاستقرار النسبي وبقيت بغداد محتفظة بأهميتها كعاصمة للجلائرين حتى سنة ١٣٥٨م ، ثم ما لبثوا ان نقلوا عاصمتهم الى تبريز ، ليعودوا عام ١٣٨٦م باتخاذ بغداد عاصمة لهم .

توفي السلطان اويس سنة ١٣٧٤م والذي كان اتخذ لنفسه لقب السلطان ، ليخلفه ابنه حسين والذي كان معروفا بضعفه وانشغاله باللهو والطرب والنساء ، فكان ذلك سببا للصراع مع اخويه علي حاكم بغداد واحمد حاكم البصرة على السلطة ، انتهى بمقتل حسين وعلي لينفرد احمد بالسلطة.

ولم يستمر هذا بعد ظهور الخطر التيموري ، فقتل على يد حليفه قره يوسف القره قوينلو عام ١٤١٠ لينتهي بذلك الحكم الجلائري ويقع العراق تحت حكم القره قو ينلو كما سيتم ذكره لاحقا .

س / ناقش بإسهاب ابرز ملامح وضع العراق في العهد الجلائري :

ج / وقع العراق تحت سيطرة الجلائرين للمدة من ١٣٣٦- ١٤١٠ م وفيما يلي ابرز ملامح الوضع للعراق في هذه الفترة .

اولا : النظام الاداري :

لم تستمر التقسيمات الادارية التي كانت موجودة خلال العهد الايلخاني في اثناء سيطرة الجلائرين على العراق فضلا عن ان الفتن والحوادث بين الموظفين ادت الى عدم ثباتهم في الوظائف ، وشاع في هذه الفترة اسلوب الادارة بطريقة الضامن اذ كان يمنح حكم الولايات والمقاطعات للشخص مقابل تأديته مبلغ معين من المال ، كان السلطان يعين الحكام على جميع الولايات التابعة له ، وكان على راس الادارة في الولاية موظف يسمى الوالي او الحاكم او الامير، وكانت كل ولاية تضم عدد من المدن والقرى التي لم يكن تقسيمها يستند على اسس ادارية او جغرافية وانما على اساس ما يتم فرضه من ضرائب وموارد حكومية عليها .

ثانيا / الجانب الاقتصادي :

ادى الاضطراب السياسي والاداري الى انعكاسه على مجمل نشاطات السكان لاسيما الجانب الاقتصادي ، فقد ادى الصراع الاسري الجلائري بحياة عدد كبير من الناس وتسبب ايضا في تهجيراصحاب الخبرات العلمية والحرفية الى بلاد ما وراء النهر ، ومما ساهم تخريب الحالة

الاقتصادية هي الضرائب الكثيرة التي اثقلت كاهل المواطنين ، منها هجوم الجراد وانتشار الاوبئة بين عامي ١٣٤١-١٤٤٣م ووباء عام ١٣٥٤م الذي صاحبه ايضا فيضان نهر دجلة في نفس العام مما زاد الامر سوءً ، كان السلاطين ينظرون الى الريف انه مصدر ثروة لهم يمكن استثمارها لتمويل حملاتهم العسكرية ، الامر الذي جعل الجلائرين يوزعونه كأقطاعات للاشخاص الذين يقدمون خدمات لهم عرفت بـ (الإدرار) ، فضلا عن وجود نوع من الاقطاع بأن يمنح الشخص الذي يقوم بإحياء الارض الموات اقطاع يصبح له ولذريته يسمى بـ القرار الشمسي.

.

كذلك الحال بالنسبة للتجارة التي تدهورت نتيجة للضرائب التي كانت تفرض عليها فضلا عن ان الصراعات والحروب التي كانت تجبر التجار على تغير طرق تجارتهم مما يزيد من اعبائهم ، انتعشت التجارة فترة من الزمن نتيجة لقيام علاقات طيبة بين الجلائرين والمماليك مما ساهم في انعاش التجارة مع الصين والهند وبلاد الروم.

ثالثا / الجانب الثقافي والعمراني:

واجهت الحياة الثقافية تحديا كبيرا نتيجة لما كان يمارسه المحتلين من قتل للعلماء وتدمير للمؤسسات العلمية ، تناقص عدد العلماء في العهد الجلائري الى ٤٦ عالما بعد ان كانوا ١٢١ عالما في العهد الايلخاني ، رغم ذلك ظلت بغداد مركزا للعلوم والادب وانشئت فيها مدارس منها المدرسة المسعودية نسبة الى الخواجة مسعود بن منصور، والمدرسة الاسماعيلية بناها وزير بغداد اسماعيل والمدرسة المرجانية التي بناها والي بغداد امين الدين مرجان وشيد ايضا خان مرجان الذي بقى شاهدا على العصر الى الان الذي كانت فيه بغداد مركزا للعلم والعلماء .

اهتم الجلائريون بالعتبات المقدسة فقد قام السلطان اويس بتعمير مقام الامام موسى الكاظم عليه السلام فبنى قبتين ومنارتين ، كذلك الحال بالنسبة للعتبات المقدسة في النجف وكربلاء التي اهتم بها الجلائريون نظرا لمكانتها الدينية .

س/ عرف الجلائريون:

ج/ هم مجموعة من القبائل التي ترجع في اصولها الى القبائل التركية وهناك من يشير الى انهم من قبائل المغول ، (فرع من قبيلة إلقا) موطنهم بلاد ما وراء النهر ، احتلوا العراق للفترة من ١٣٣٦-١٤١٠م.

س / احتل الجلائريون العراق للفترة من ١٣٣٦ الى١٤١٠ م

س/ عرف نظام الاقطاعات التي كان يمنحها الجلائريون للأشخاص الذين يقدمون خدمات لهم بـ الإدرار

س/ يمنح الشخص الذي يقوم بإحياء الارض الموات اقطاع يصبح له ولذريته يسمى بـ القرار الشمسي

حكم الاسر المحلية في العراق:

اولا : اسرة افراسياب في البصرة ١٥٩٦- ١٦٦٨:

بدأ التدهور والضعف يدب في الدولة العثمانية منذ نهاية القرن السادس عشر وبداية القرن السابع عشر نتيجة لكثير من الازمات ، فأصبحت سيطرتها على المناطق التي كانت خاضعة لها ضعيفة ومنها مناطق العراق فازدادت الثورات والانتفاضات العشائرية ، وتدهورت سلطة الولاة العثمانيين في كثير من مناطق العراق ، لا سيما البصرة التي كان الولاة العثمانيين عاجزين في فرض سيطرتهم عليها ، وحمايتها من الاخطار الخارجية ، مما ادى الى انحسار النفوذ العثماني هناك وقيام حكومة محلية في البصرة ، ففي العام ١٥٩٦ اشترى افراسياب (الذي اختلف المؤرخون في اصله فمنهم من ارجع اصله الى السلاجقة ومنهم من ذكر انه من اصول عربية ويقال عنه انه كان كاتبا للجند توفي سنة ١٦٠٣) البصرة بثمانية اكياس رومية كل كيس يحتوي على ثلاثة الاف ليرة محمدي ، على ان يذكر السلطان العثماني في الخطبة ، وان يدفع ضريبة سنوية الى خزينة الدولة العثمانية ، واستطاع افراسياب ان يكون له حكم ذاتي على البصرة غير ان صلته بالسلطان العثماني وتبعيته له لم تنقطع اذ كان دائما يصرح بولائه وتبعيته للسلطان العثماني

علل / اعلان افراسياب انه يدين بالولاء والتبعية للسلطان العثماني على الرغم من اعلانه الحكم الذاتي في البصرة

ج / خشيته من النفوذ الايراني وخشيته من سيطرة الشاه عباس على البصرة والقضاء على حكمه فيها

ازدهرت التجارة في البصرة على عهد افراسياب وفتحت موانئها امام التجارة الاوربية ، لكنه في العام ١٦٢٣ طلب الشاه عباس من افراسياب اعلان التبعية له وذكر اسمه في الخطبة مقابل ان يظل واليا على البصرة لكن افراسياب اعلن رفضه لمطالب الشاه .

علل/ لماذا كان الشاه عباس يريد السيطرة على البصرة ؟

ج / لاسباب اقتصادية جوهرية لان البرتغاليين الذين اخرجوا من هرمز عام ١٦٢٢ نقلوا نشاطهم الاقتصادي الى البصرة وتحكموا بتجارة الاحساء والقطيف ، فلم يكن طردهم من هرمز كافيا ، ولتتركز التجارة الخارجية بيد الايرانيين فكان لابد من طردهم من البصرة ايضا.

كان الايرانيون يفتقرون الى اسطول بحري وغير قادرين على مواجهة البرتغاليين المتفوقين بحريا ، لذلك وجد الشاه ان السيطرة على البصرة وفرض حصار بري عليها قد يكون عمل مجدي لطرد البرتغاليين منها ، وفي العام ١٦٢٤ توجه امام قلي خان حاكم شيراز الى البصرة على راس جيش ايراني الا انه فشل في السيطرة عليها بسبب النيران التي اطلقتها البحرية البرتغالية على الجيش الايراني ، وفي العام ١٦٢٥ توجه قلي خان مرة ثانية للسيطرة على البصرة وفرض سيطرته على الحويزة ، لذلك كان على علي باشا افراسياب الذي خلف والده ان يواجه القوات الايرانية ، فطلب من اهل البصرة

التعبئة العامة ونجح مع اهل البصرة في منع الصفويين من العبور الى الجانب الغربي من شط العرب ، وقد اشتركت ايضا السفن البرتغالية في المعركة ضد الصفويين الذين انسحوا بناء على اوامر الشاه .

على الرغم من تصدي علي باشا افراسياب للصفويين الا ان الدولة العثمانية اخذت تفكر جديا في القضاء على امارة افراسياب خصوصا بعد وصول السلطان مراد الرابع الذي كان عازما على اعادة سلطة الدولة العثمانية ، ففي العام ١٦٤٠ تقدم سكان العرجة بعريضة الى والي بغداد درويش باشا يطالبونه بالانضمام اليه بدلا من البقاء تحت حكم اسرة افراسياب ، وتمكن درويش باشا من ضم العرجة الى ولاية بغداد ، مما اثار غضب علي باشا افراسياب الذي حاول الهجوم على بغداد الان قوات الحامية العثمانية تصدت له وسيطرت على بعض القرى والمناطق في البصرة ، في العام ١٦٥٣ وجدت الدولة العثمانية الفرصة سانحة للقضاء على اسرة افراسياب ، بعد حدث صراع وتنافس بين ابناء الاسرة للسيطرة على الحكم ، فضلا عن ان تقارب علي باشا مع الصفويين ومحاولته الهجوم على بغداد ، فكان لابد من القضاء على حكم اسرة افراسياب ، وبالفعل تحركت القوات العثمانية التي ارسلها مرتضى باشا الى البصرة وسيطرة عليها دون مقاومة بسبب هروب حسين باشا افراسياب الى بهبهان ، وبعد دخول مرتضى باشا البصرة صادر اموال حسين باشا ، ونتيجة لمقاومة العشائر الذين ثاروا على العثمانيين اضطروا الى الانسحاب من البصرة ، التي رجع اليها حسين باشا حاكما ، اصدر الباب العالي فرمانا طالب فيه ولاة ديار بكر والرقة وشهرزور بالانضمام الى الحملة التي سيقودها ابراهيم باشا الطويل ضد امارة افراسياب عام ١٦٦٥ ، بلغ عدد قوات الحملة خمسين الفا ، وتحركت من بغداد ووصلت منطقة المنصورية ، ساعدت الارض الوعرة على صمود قوات حسين باشا امام القوات العثمانية ، فضلا عن قيام قوات حسين باشا بمهاجمة السفن التجارية الراسية في شط العرب ، الامر الذي ادى الى شل الحركة التجارية في البصرة وعمت الفوضى فيها ، مما اضطر الاهالي الى الطلب من قائد الجيش العثماني بإرسال والي لحكمها ، فارسل صولاق حسين حاكما الذي وجد نفسه في مأزق بسبب الاضطرابات والاوضاع هناك ، في هذه الفترة كان حسين باشا افراسياب قد تلقى دعم من اهالي الحويزة الذين كانوا ناقمين على الحكم العثماني ، ولم يستطع الجيش العثماني وخلال ثلاثة اشهر من المعارك ان يحقق اي نصر على حسين باشا ، في ظل هذه الاوضاع طلب والي ديار بكر المشارك في الحملة المفاوضات مع حسين باشا دون علم قائد الجيش العثماني ، فتم الاتفاق على ان يظل حكم البصرة بيد اسرة افراسياب ، وينقل الحكم الى ابن حسين باشا ، ويذهب هو الى مكة ، وان يعتذر للسلطان رسميا ، انسحبت القوات العثمانية الى بغداد ، وارسل حسين باشا اعتذاره الى الباب العالي

في عام ١٦٦٧ اصدر الباب العالي الى مصطفى باشا والي بغداد لتجهيز حملة عسكرية على البصرة والتحقت بها قوات من ديار بكر وشهرزور والموصل والرقة ، حاول مصطفى باشا الاستفادة من اخطاء الحملة السابقة ، بدأت المدفعية العثمانية بقصف قلعة القرنة ، وهاجم الجيش العثماني من عدة اتجاهات قوات حسين باشا الذي وجد نفسه محاصر مما

اضطره الى الهرب الى منطقة الحويزة وبذلك سيطرة القوات العثمانية على البصرة وازالت حكم اسرة ال افراسياب ، وتم تعين يحيى باشا حاكما على البصرة ، وابقت حامية عثمانية قوامها ١٥٠٠ انكشاري فضلا عن ٣٠٠٠ من القوات المحلية

س / ماهي اسباب طول فترة حكم اسرة ال افراسياب ؟

ج /

١- بعدها عن الدولة العثمانية

٢- انشغال الدولة العثمانية بحروبها مع الدول الاوربية والدولة الصفوية

٣- طبيعة المنطقة التي تكثر فيها الاهوار والمستنقعات كانت سبب في عدم تمكن القوات العثمانية من القضاء عليها

٤- الدعم الذي كانت تتلقاه بسبب المنافسة بين الشركات التجارية الاجنبية التي كانت تفضل التعامل مع حكومة محلية بدلا من التوجه الى الدولة العثمانية

ثانيا : المماليك في بغداد:

وجد والي بغداد حسن باشا(١٧٠٤-١٧٢٣) نفسه امام مشاكل كثيرة منها تفكك القوات الانكشارية وتمردها في كثير من الاحيان واثارتهم للفوضى ، فضلا عن طبيعة المجتمع العراقي العشائرية وخروجها عن الطاعة وعدم التزامها بأوامر الحكومة ، فوجد الوالي نفسه امام طريقين : اما ان يحكم كما كان قبله من الولاة ويترك الامور على حالها من الفوضى ، او انه يستخدم قوات مرتزقة من غير العراقيين لضبط النظام ، فوجد ان هذا من افضل الحلول لإدارة الحكم والسيطرة على الامور ، فقام حسن باشا بشراء المماليك الجراكسة من اسواق تبليس ، اذ كان هؤلاء يجلبون وهم اطفال فيتعلمون فنون القتال والفروسية في مدارس خاصة ، وما ان يتخرج هؤلاء حتى يدخلون في الجيش او الوظائف الحكومية ، وانشأ لهذا الغرض دائرة خاصة في بغداد تعرف (ايج دائرة سي) اي الدائرة الداخلية مهمتها الاشراف على شراء المماليك وتدريبهم ، وازداد عددهم بالتدريج ، واصبحوا بعد وفاة حسن باشا قوة لا يستهان بها ، وكذلك فعل ابنه احمد باشا في الاعتماد على جلب المماليك والعناية بهم وتعاظم حكم المماليك الجراكسة وزاد نفوذهم في العراق

الحكم المملوكي في العراق:

سليمان باشا (ابو ليلى) ١٧٥٠-١٧٦٢

كان سليمان باشا (ابو ليلى) اول من تولى الحكم من المماليك في العراق ، وعرف بشجاعته واخلاصه في تقديم الخدمات للوالي حسن باشا ، وظل يتنقل بالوظائف الى ان اصبح واليا على البصرة عام ١٧٣٦، وكان يتعمد عليه الوالي في تأديب العشائر العربية عند اعلان ثوراتها ، وحصل على لقب باشا ونتيجة لقوته وشجاعته اصبح واليا على بغداد عام ١٧٥٠،

لقد اظهر سليمان باشا همة كبيرة في الادارة والحكم ، وقسوته في القضاء على تمردات العشائر التي كان يغير عليها ليلا فاطلقوا عليه تسمية ابو ليلى ، واصبح طريق التجارة بين بغداد والبصرة آمناً دون اي حماية للطريق ، ازداد في عهده نفوذ المماليك وكثر عددهم واصبح يتعمد عليهم في الوظائف الحكومية ، مما ادى الى ان تحرم كثير من الاسر البغدادية من توليها اي منصب اداري او عسكري في عهده ، توفي سليمان باشا عام ١٧٦٢، وكانت وفاته ايذانا لبدأ الفوضى ولفترة طويلة بعد سنوات من الاستقرار والامان .

عمر باشا ١٧٦٤-١٧٧٥

بعد وفاة سليمان باشا تنافس على الحكم سبعة مرشحين ، واختار الباب العالي من بين هؤلاء السبعة علي اغا ليكون حاكما على بغداد ، الذي ما ان وصل بغداد حتى بدأت المؤامرات تحاك للتخلص منه فحدثت ثورة ضده من قبل الانكشارية انتهت بمقتله عام ١٧٦٤، بعد مقتل علي اغا رفع اعيان ووجهاء بغداد عريضة يطالبون بتنصيب عمر باشا واليا على بغداد ، تولى عمر باشا الحكم عام ١٧٦٤ ، وشهد عهده كعهد باقي الولاة ثورة عشائر المنتفك والخزاعل والعبيد ، وانتشار الطاعون في مدن العراق عام ١٧٧٢ ، واضطراب الاوضاع في كردستان بعد مهاجمة كريم خان الزند لها ، وفرض الايرانيون عام ١٧٧٥ حصارا على البصرة ، هنا وجد الباب العالي ان السبب الاكبر لتحرك الايرانيين نحو العراق هو تصرف الوالي عمر باشا الذي اتهم بمضايقته للزوار الايرانيين ، وكان الباب العالي يفكر جديا في القضاء على المماليك لكن وجد ان الوقت غير مناسب لذلك وقد تحدث ثورة من قبل المماليك الذين ازداد نفوذهم ، واصدر السلطان العثماني امر الى والي الرقة مصطفى باشا لقيادة حملة عسكرية للقضاء على عمر باشا ، وتمكنت القوات العثمانية من دخول بغداد وقتل عمر باشا ، وتمت مصادرة امواله ، لم يكن مصطفى باشا على المام بحالة الولايات العراقية ، ولم يكن لديه خبرة لادارتها ، ولم تكن لديه نية صادقة في فك الحصار الايراني عن البصرة بسبب انشغاله بمصالحه الخاصة ،ولذلك صدرت الاوامر بتنصيب عبدي باشا والي كوتاهية واليا على بغداد ، والقى القبض على مصطفى باشا وتم اعدامه ، وجد عبدي باشا الحالة سيئة جدا وتعاظم نفوذ عبدالله اغا الذي اصبح مسيطرا على وسط وجنوب العراق ، ازاء هذا الوضع ، وجد الباب العالي نفسه اما الامر الواقع نتيجة لفشل معظم الولاة في القضاء على المماليك ، لذا صدرت الاوامر بتعين عبدالله اغا واليا على بغداد (١٧٧٦-١٧٧٨) الذي لم تكن لديه معرفة وقدرة على الحكم ، واعتمد على عجم محمد وهو من اصل ايراني في ادارة امور الولاية لدرجة انه صار يطمح لمنصب الباشوية، واتبع سياسة تعسفية في جمع الضرائب لدرجة ان كثير من التجار هربوا الى خارج البلاد ، بعد وفاة عبدالله اغا اندلعت حرب بين الطامعين بمنصب الولاية منهم عجم محمد ، انتهى الامر بتعين حسن باشا والي كركوك حاكما على بغداد ، الا ان الصراع على حكم الولاية استمر ، لينتهي الامر بسيطرة سليمان اغا على زمام الامور .

سليمان باشا الكبير (١٧٨٠-١٨٠٢):

كان الباب العالي يرى في شخص سليمان باشا الذي عرف بالكبير انه قادر على وضع حد للفوضى التي دامت ١٨ عاما ، تحرك سليمان باشا من البصرة لتسلم منصبه الجديد يرافقه عدد من اعوانه منهم الشيخ ثويني شيخ عشائر المنتفك ، وعندما وصل الى اطراف بغداد كان في استقباله علماء بغداد ووجهائها ، وتمكن من الحاق الهزيمة بعجم محمد واتباعه ، ودخل الى بغداد واستلم مقاليد الحكم في تموز عام ١٧٨٠، وبدخوله الى بغداد يبدأ العصر الذهبي لحكومة المماليك فيها ، اذ انه بذل جهودا كبيرة لاصلاح الادارة في بغداد ، وجلب اعداد كبيرة من المماليك من بلاد الكرج وسعى الى تعليمهم وتثقيفهم وتدريبهم على ادارة مناصب الدولة ، ثم طلب من الاستانة عددا من الانكشارية لتعينهم بدلا من الانكشارية المقيمين في العراق ونقل كثير منهم الى الديوانية والسماوة بحجة مقاتلة العشائر التي تثور هناك ، في عهده حدثت ثورة عشائرية عام ١٧٨٧ تزعمها سليمان الشاوي شيخ العبيد وثويني العبدالله شيخ المنتفك وحمود الحمود شيخ الخزاعل، استهدفت القضاء على حكم المماليك في البصرة وتمكن الثوار من فرض سيطرتهم على البصرة ، الا ان المماليك تمكنوا من استعادة الحكم على البصرة ، في عام ١٧٨٨ اتفق البابانيون ومتسلم البصرة على اعلان الثورة من اجل اعلان قيام حكومة كردية في العراق بمساعدة بعض العشائر العربية ، ولما علم سليمان باشا الكبير بذلك تحرك على راس قوة عسكرية في شباط / فبراير عام ١٧٨٩، مما اضطر متسلم البصرة الى الهرب الى الكويت ، واعادة حكم المماليك عليها ، اتعبت الحروب والمشاكل سليمان باشا الكبير وقدم استقالته عام ١٧٩٣، غير ان الباب العالي رفض استقالته تقديرا لخدماته ، ان ضعف وكبر سليمان باشا الكبير وترشيحه لاحمد كهية لمنصب الباشوية اثار عليه المؤامرات الداخلية لتنتهي بمقلته في اوائل ايار / مايو عام ١٨٠٢

في اعقاب وفاة سليمان باشا بدأ الصراع على الحكم بين المتنفذين من المماليك لينتهي الامر بتولي علي باشا الحكم (١٨٠٢-١٨٠٧)

اهم سمات حكم علي باشا:

١- عدم الاستقرار وتزايد الثورات العشائرية

٢- انتشار الطاعون في بغداد خلال مدة حكمه

٣- انصرف الى تشجيع الزراعة والصناعة والتجارة واستدعى لذلك الخبراء والفنيين من اوربا امثال المسيو باسيف

٤- اشترى المصانع لصنع الاسلحة

٥- انتخب عدد من الضباط المتعلمين وخصصهم لتدريب ابناء ورجال المماليك بصورة خاصة

٦- اصبح عدد الجيش في عهده ٨ الاف من المشاة و ١٠ الاف من الخيالة والمدفعية

انتهى حكمه باغتياله في ٨ اب / اغسطس عام ١٨٠٧

سليمان باشا الصغير (١٨٠٧-١٨١٠)

لقد كانت رغبة الباب العالي شديدة في انهاء حكم المماليك على العراق وفي اعقاب مقتل علي باشا رشح الصدر الاعظم السابق ضياء يوسف باشا لولاية بغداد الا انه سرعان ما تراجع عن ذلك ووافق على تعين سليمان باشا الصغير.

س/ ما هي اسباب موافقة الباب العالي على تعين سليمان باشا الصغير واليا على بغداد؟

ج/

١- وقوف السفير الفرنسي في الاستانة الجنرال سباستياني الى جانب سليمان باشا الصغير مرشحا اياه لولاية بغداد

٢- عمل سليمان باشا على ارضاء الباب العالي بارسال الاموال الى الاستانة

٣- الظروف الداخلية المتدهورة التي كانت تعشيها الاستانة ، وتمكن الانكشارية من قتل السلطان سليم الثالث

٤- وقوف اهالي بغداد ووجهائها الى جانب سليمان باشا معلنين رغبتهم في توليه حكم الولاية

بدأ سليمان باشا الصغير حكمه بتجهيز حملة تولى قيادتها نحو كردستان لقتال عبد الرحمن الباباني الذي عرف بعدم طاعته لحكومة بغداد ، فتم الحاق الهزيمة به ، لقد حاول سليمان باشا الصغير الاستقلال عن الباب العالي فقام بالغاء بعض الضرائب والرسوم التي كانت تجبى باسم الحسبة ، وتجاوز صلاحياته في التدخل في تعيين ولاة الموصل ، وهاجم سنجار والرقة وهي مناطق خارج ولايته ، وهاجم اراضي في ولاية ديار بكر ، كان السلطان محمود الثاني (١٨٠٨ – ١٨٣٩) ينظر بقلق الى ما يقوم به حاكم بغداد ، خاصة وانه رفض ارسال عشرة الاف كيس التي بقت بذمة الواليين السابقين سليمان باشا الكبير وعلي باشا ، قرر الباب العالي التخلص من الوالي سليمان الصغير ، فاختار لذلك حالت محمد سعيد المعروف بدهائه وكرهه للفرنسيين والمصالح الفرنسية ، وخوله الباب العالي في تنفيذ ما يراه ضروريا لذلك ، وعندما وصل بغداد قابل سليمان الصغير وطالبه بما في ذمته من اموال ، ووجده انع غير راغب في دفعها وحذره من نتيجة ذلك ، وعندما علم الباب العالي بذلك امر حالت افندي بتجهيز حملة بلغت ١٥ الف مقاتل ، ساهم فيها محمود باشا الجليلي وعبد الرحمن الباباني وعشائر طي والعبيد والعزة والبيات ، وانتهت المعركة التي حدثت يوم ٥ تشرين الاول / اكتوبر عام ١٨١٠ باندحار قوات سليمان باشا الصغير والتجاء الى شيخ المنتفك الا انه قتل على يد افراد من قبيلة الدفافعة من شمر ، تولى الحكم عبدالله باشا (١٨١٠-١٨١٣) وكان في صراع مع سعيد بك ابن سليمان باشا الكبير وانتهى الصرا بمقتل عبدالله باشا ، وتولي سعيد بك الحكم (١٨١٣-١٨١٦) ليتولى الحكم داود باشا بعد مقتل سعيد بك

داود باشا (١٨١٦- ١٨١٣)

وهو اخر الولاة المماليك في العراق وتميز عهده بمتغيرات سياسية كبيرة كان من ابرزها بدء حركة الاصلاحات في العراق ، لقد واجه داود باشا عند توليه الحكم ثورات عشائرية عربية مطالبين بالحكم

واضطراب الامور في كردستان ، وتمكن داود في بداية حكمه اخضاع العشائر الثائرة، لقد تميز عهد داود باشا بحركة اصلاحية لاسيما في المؤسسة العسكرية ، فقد احس والي بغداد بقيمة التفوق والتنظيم في الاساليب الحربية الاوربية ، فضلا عن تأثره باصلاحات السلطان محمود الثاني ، فشرع بتأسيس جيش نظامي مستخدما البريطانيين في تدريب قواته وباشراف الكولونيل تايلر ، الذي كان ممثلا لشركة الهند الشرقية المقيم في بغداد ، فكون الوحدات المنظمة والمدربة ومزودة بالمدفعية الحديثة والاسلحة الكثيرة ، كما احتكر داود باشا المنتجات العراقية وتصديرها وملك البواخر التجارية الصغيرة النهرية والبحرية .

لقد تجددت فكرة القضاء على الحكم المملوكي ، اذ ان السلطان محمود الثاني ، الذي بدأ بالقضاء على الانكشارية وانشاء جيش نظامي جديد وعمل على تطبيق النظام المركزي ، فأخذ يفكر جديا بالقضاء على المماليك في العراق ، على الرغم من قيام داود باشا بارسال الاموال الى الباب العالي بصورة منتظمة ، الا انه ونتيجة لبرنامجه الاصلاحي والعسكري حاول توفير المال وقرر عدم ارسال الاموال الى الاستانة ، مما ادى الى توتر الامور بين السلطان وداود باشا ، في عام ١٨٢٩ ارسل السلطان احد رجاله وهو صادق افندي ليطلب من داود باشا التخلي عن الحكم ،الا ان رسول السلطان قتل بمؤامرة دبرها داود باشا ، لذا قرر الباب العالي عزل داود باشا بالقوة عن الحكم ، وكلف والي حلب علي رضا باشا وطلب من ولاة ديار بكر وارضروم وزعماء الاكراد بالانضمام الى حملة علي رضا باشا ، وكتب الباب العالي الى الحكومة يطالبها بعدم قبول لجوء داود باشا في حال هروبه.

تحرك علي رضا باشا عام ١٨٣١ على رأس عشرة الاف جندي مع تسعة مدافع ميدان ، وانضم اليه العشائر من شمر وبني عقيل ، ومنح الجند المماليك والاهالي الامان من اجل كسبهم الى جانبه ، حاول داود باشا الوقوف بوجه القوات العثمانية ، الا ان جميع اجراءات داود باشا باءت بالفشل ، واضطر الى الهرب والالتجاء الى احد البيوت وحاول اعيان بغداد الحصول على الامان لداود باشا عند تسليمه لقائد الجيش العثماني الذي وصل بغداد في تموز / يوليو عام ١٨٣١ ، وفرض علي رضا باشا حصارا شديدا ، واخذ البغداديين يفكرون في وسيلة لانقاذ مدينتهم من الحصار ،التي اصبحت الحالة فيها كارثية بسبب شح الطعام وارتفاع الاسعار ، كذلك كان الحال بالنسبة لقوات علي رضا باشا الذين ساءت احولهم نتيجة لعدم تحقيق اي شئ من فرض الحصار ، عندها سادت مدينة بغداد الفوضى والاضطراب بعد وصول الامر السلطاني الذي اقر لهم اما بالتسليم والعفو او المقاومة والعقاب الشديد ، فاستغل علي رضا باشا ذلك فدخل مدينة بغداد يوم ١٤ ايلول عام ١٨٣١ ، واقترح بعض رجال داود باشا عليه بالهرب الى المنتفك لكن سوء حالته الصحية منعته من ذلك ، ثم تم اخذه من قبل جند علي رضا باشا بكل احترام وارسل الى الاستانة واذيع بعفو عام عن جميع اهالي بغداد ودعا علي رضا باشا جميع المماليك في بغداد لسماع قراءة الفرمان السلطاني بتنصيبه على باشوية بغداد ، واحاطهم بالجند وما ان خرج بحجة الوضوء حتى اصدر اوامره بقتل المماليك جميعا

حتى المؤيدين له ، وقرأ امر السلطان بقتل المماليك اينما وجدوا وبذلك انتهى حكم المماليك الذي دام اكثر من ثمانين عاما وعاد العراق الى الحكم المركزي العثماني .

حملة السلطان سليمان القانوني على العراق ١٥٣٤م

توفي السلطان سليم الاول عام ١٥٢٠ فتولى العرش ابنه سليمان(١٥٢٢-١٥٦٠) الذي لقب بالقانوني (لانه اصدر مجموعة من القوانين عرفت بـ (قونامة سليمان) المستمدة من الشريعة الاسلامية ارست العدالة والمساوات بين عامة الشعب الغني والفقير وبين صاحب السلطة المواطن البسيط وارست دعائم الحكم في مختلف الولايات) ، كانت الفترة التي تلت معركة جالديران عام ١٥١٤م كما ذكرناها سابقا هي فترة هدنة رغم حدوث بعض المعارك في مناطق متفرقة بين الجانبين ، توفي الشاه اسماعيل الصفوي عام ١٥٢٤م وتولى عرش الدولة الصفوية ابنه الشاه طهماسب فتجددت المناوشات بين الطرفين ، فاعلن احد الامراء الاكراد (شرف خان امير) خروجه عن طاعة العثمانيين واعلن تبعيته للصفويين الامر الذي اثار غضب السلطان سليمان ، فضلا عن تشجيع الصفويين للاضطرابات التي قامت في الاناضول من قبل القزل باش ضد العثمانيين ، فما كان من السلطان سليمان ان يدبر مذبحة بحقهم ، ولعل ابرز الاحداث التي عجلت في اعلان السلطان سليمان القانوني حملته على العراق هي قيام احد الامراء الاكراد من قبيلة موصلو يدعى ذو الفقار خان بحركة اعلن خلالها استقلاله عن الدولة الصفوية وتبعيته للدولة العثمانية ، ودخل بغداد وحاصر القلعة واعلن استقلاله عن الدولة الصفوية ، فأمر بذكر اسم السلطان سليمان في الخطبة ونقش اسمه على النقود وبعث الى السلطان بسفارة للاعراب عن ولائه للسلطان الذي اصدر فرمان بتعينه حاكما على ولاية بغداد .

لم يترك الشاه طهماسب الامر على حاله بل توجه بجيش كبير الى بغداد التي فرض حصارا عليها ولم يتمكن الجيش الصفوي من دخولها لصلابة المقاومة التي ابداها ذو الفقار وقواته ، فقام اخوين من اقرباء ذو الفقار باغتياله فانهارت المقاومة وتمكن الصفويين من دخول بغداد ، وعين الشاه طهماسب حاكما جديدا عليها وعدد من الحكام الصفويين على باقي مدن العراق ورجع بقواته الى قزوين بعد اوصى باحكام الدفاعات عن بغداد .

في هذه الاثناء ظهر تهديد جديد تمثل بظهور البرتغاليين الذين كانوا من القوى الاوربية ويطمحون للحصول على بعض المكاسب السياسية والاقتصادية بإيجاد نفوذ ومناطق لهم في الخليج العربي والعراق مما يمكنهم من التحكم بطرق التجارة عبرهما .

هذه الاسباب هي التي جعلت بالسلطان سليمان يفكر في تجهيز حملة كبيرة للسيطرة على العراق ، لكن قبل ذلك فكر السلطان في مهاجمة الصفويين في اراضيهم، فاصدر اوامره الى الى الصدر الاعظم ابراهيم بالتوجه على راس جيش قدر بـ ١٠٠ الف مقاتل لمساندة اولامة تكلو احد الامراء الاكراد الذي انشق عن الدولة الصفوية واعلن ولائه للدولة العثمانية ، فتحرك ابراهيم باشا الى حلب عام ١٥٣٣ وامضى فصل الشتاء فيها

واخذ يجمع المعلومات عن احوال بغداد ويرسلها الى السلطان سليمان ، واعلمه ان حاكم بغداد محمد خان تكلو بدأ بجمع المؤن ويسعى الى تحصين موقعه ، وان علاقته مع العشائر العربية في ارجاء بغداد غير جيدة ، لم يتوجه الصدر ابراهيم باشا الى بغداد مباشرة رغم المعلومات التي كانت ترد اليه عنها ، بل قرر التوجه الى تبريزالتي اقتحمها بالتعاون مع اولامة تكلو ، وعندما علم الشاه طهماسب بذلك ارسل قوة من القزل باش لمواجهة قوات ابراهيم باشا الذي ارسل في طلب النجدة من السلطان سليمان لقناعته بعدم قدرته على مواجهة القزل باش ، استجاب السلطان سليمان لطلب الصدر الاعظم واعد جيشا كبيرا لمهاجمة قزوين عاصمة الصفويين ، الا ان الامطار والثلوج اعاقت تقدم القوات العثمانية ، وادت الى تذمر القوات العثمانية ، لذلك اضطر السلطان الى مغادرة السلطانية والتوجه الى الموصل عن طريق شهرزور لقضاء فصل الشتاء ثم العودة في الربيع لمواجهة الشاه طهماسب ، في اثناء ذلك وصل الى السلطان سليمان وفد من الحامية الصفوية في بغداد يحمل اليه مفاتيحها، بعد اضطراب اوضاع الحامية هناك نتيجة للانباء التي كانت تصل اليهم عن الجيش العثماني ، وقد تسلم السلطان سليمان مفاتيح بغداد ، وكان ذلك بالقرب من كرمان اي قبل وصوله الى العراق ، وتوجه على الفور الى بغداد فدخلها فاتحا دون قتال في كانون الاول / ديسمبر عام ١٥٣٤م ، وادخل معه حاشيته فقط ولم يسمح للجيش بدخلو بغداد خشية عدم السيطرة عليهم وتلافيا لاعمال السلب والنهب التي قد تحدث من قبل الجيش لاسيما انه كان يعاني من الجوع والارهاق لقطعه مسافات طويلة قبل وصوله الى بغداد.

بعد سيطرة العثمانيين على الموصل وبغداد والمناطق الغربية فلم تبقى الا البصرة ومناطق العراق الجنوبي فما كان من امير البصرة راشد بم مغامس الا ان يعلن ولائه للسلطان سليمان ، وارسل ابنه مانع ومعه هدايا ومفاتيح البصرة الى السلطان ، وعهد السلطان بحكمها الى راشد بن مغامس تحت اسم (ايالة البصرة) وكذلك قام رؤساء العشائر العربية في الغراف والحويزة باعلان ولائهم للسلطان.

في نهاية عام ١٥٣٤ غادر السلطان سليمان العراق وبقت فيه قوات عثمانية قوامها ٢٢ الف من مختلف القوات لحماية البلاد من هجمات الصفويين ،

اهم اعمال السلطان سليمان القانوني في العراق :

بعد دخول السلطان سليمان القانوني بغداد والمكوث فيها قام ببعض الاعمال منها ، توسيع مرقد الامام ابو حنيفة النعمان وبناء قبة عليه وبناء مدرسة وجامع وزاوية الى جوار المرقد وبناء سور حوله ، وامر المعمار العثماني سنان باشا ببناء قبة لمسجد ومرقد الشيخ عبد القادر الكيلاني ، وقصد العتبات المقدسة في الكاظمية كربلاء والنجف ، ومن اعماله محاولة تعميق نهر الحسينية الذ يروي مدينة كربلاء وبساتينها ، فضلا عن انه

امر ببناء سدة ترابية لانقاذ المدينة من الغرق بسبب فيضان نهر الفرات ، من جهة اخرى قسم البلاد الى وحدات ادارية وادخل نظام الاقطاع كما كان معمولا به في المقاطعات الاخرى من دولته ، ومنح التيمار والزعامات الى الجنود والقادة الذين اظهروا البطولة في حملته على بغداد ، كما نظم سجلات للاملاك الخاصة والاوقاف واوكل ولاية بغداد الى سليمان باشا ، وبقى في المدينة حامية مكونة من الف فارس لحمايتها من هجمات الشاه طهماسب في المستقبل .

ثبت السلطان سليمان في بغداد قانون – نامه وبموجبه اعلن انه لا يسمح لاحد بعد هذا القانون ان يعامل سكان المدن والقرى خلافا للقانون والشريعة ، وامر بقراءة القانون في جميع المدن والقرى ، ووضعت في الوقت ذاته مبادئ لفرض الضرائب واستغلال الارض كما اجرى مسح تفصيلي ونظمت الدفاتر وسجلت فيها كل التفاصيل المتعلقة بالمقاطعات والاملاك

حملة خسرو باشا ١٦٣٩م:

بعد وفاة الشاه عباس الكبير تولى الشاه صفي العرش الصفوي وكان صغير السن ، فأستغل السلطان مراد الرابع ذلك محاولا استعادة بغداد من الصفويين ، فأرسل الصدر الاعظم خسرو باشا على رأس حملة كبيرة فبدأ زحفه من اسكودار في ايار عام ١٦٢٩ ، وواصل تقدمه حتى وصل ديار بكر فأنضم اليه بعض الاغوات الاكراد الى ان وصل الموصل في ١٧ كانون الاول / ديسمبر عام ١٦٢٩م ، وعقد اجتماعا حربيا كبيرا في الموصل ، واستقر رأيه بأن يتوجه الى شهرزور نتيجة لكثر هطول الامطار ورداءة الطريق والخوف من مهاجمة امراء اردلان على مؤخرة الجيش في حالة التوجه مباشرة من الموصل الى بغداد ، ومن اجل جعل شهرزور قاعدة عسكرية تحمي ظهر الجيش في حالة تقدمه الى بغداد ، لم يواجه خسروا باشا اية صعوبات اثناء توجه الى شهرزور بل ان كثير من امراء الاكراد اعلنوا طاعتهم للصدر الاعظم .

كان خسرو باشا يرى بأن استعادة العراق لا تتم الا بعزله عن ايران ولا يتحقق ذلك الا بالسيطرة على اذربيجان ، لذلك تقدمت قواته باتجاه اذربيجان ، وعندما علم الشاه بذلك ارسل قوات قوامها ٤٥ الف مقاتل بقيادة زينل خان للتصدي للقوات العثمانية ، وخرج بنفسه على رأس قوية عسكرية متوجها الى بغداد ، حاولت القوات الصفوية بقيادة زينل خان التصدي للقوات العثمانية عند قلعة مهربان في ٥ ايار/ مايو عام ١٦٣٠م الا ان القوات الصفوية تعرضت للهزيمة وقتل زينل خان في المعركة فتقدم خسرو باشا الى همدان وفتحها في ٩ حزيران / يونيو من نفس العام وواصل تقدمه الى قزوين وفرض سيطرته على ايران الغربية (كرمنشاه وكردستان ولورستان وخوستان) وما ان علم الشاه بانتصارات العثمانيين حتى انسحب الى داخل العمق الايراني ، كما استعادت القوات العثمانية السيطرة على الحلة وكربلاء والنجف ، بعد هذه الانتصار ارسل السلطان مراد رسالة الى خسرو باشا يأمره بالتوجه الى بغداد التي وصلها في ١٦ ايلول / سبتمبر عام ١٦٣٠ كذلك وصلت التعزيزات من الموصل كالمدافع والذخيرة وقوات عثمانية مساندة ، فامر بنصب المدافع باتجاه باب الامام الاعظم ووضع حامية في قلعة الطيور لقطع الامدادات الصفوية عن حاميتها في بغداد ، واتخذت القوات العثمانية مواقع لها بحيث سدت جميع المنافذ على القوات الصفوية في داخل بغداد ، وفي ٩ تشرين الثاني / نوفمبر عام ١٦٣٠ قامت القوات العثمانية بهجوم واسع واستطاعت اجتياز الخنادق والمتاريس ، لكن شدة المقاومة الصفوية اجبرت القوات العثمانية على التراجع بعد ان تكبدت خسائر فادحة ، لذلك سادت موجة من الفوضى والاضطراب في صفوف الانكشارية ، بين مطالب بالرجوع والانسحاب وبين من يريد الاستمرار في القتال ، في هذه الاثناء توجه الشاه صفي على رأس قوة لمشاركة حامية بغداد في الدفاع عنها ، وعندما علم خسرو باشا بقدومه رأى بأن يفك الحصار عن المدينة وينسحب منها وتم ذلك بعد اربعين يوم من الحصار، وانسحب يوم ١٤ تشرين الثاني / نوفمبر عام ١٦٣٠ سالكا الطريق الجنوبي الى اسطنبول عبر حلب

بعد ان قطعت القوات الصفوية الطريق عبر شهرزور ، وترك خسرو باشا قوة عثمانية في الحلة مؤلفة من عشرة الالاف مقاتل بقيادة خليل باشا الان الشاه صفي تمكن من استعادة المدينة بعد حصارها لمدة ثلاثة اشهر بعدها عاد الشاه صفي الى مدينة اصفهان بعد ان زال خطر العثمانيين عن بغداد ومدن العراق الاخرى .

هناك عدة عوامل كانت السبب في فشل حملة خسرو باشا لاستعادة مدينة بغداد منها :

١- ان خسروا باشا قد اضاع كثيرا من وقته في تجديد وترميم قلعة كلعنبر ، الى درجة دفعت البعض بالقول ان الغاية من الحملة العسكرية هو تجديد القلعة وليس فتح بغداد.
٢- التكتيك الفني الذي اتبعه الصفويون بابطال الالغام التي يضعها العثمانيون في محيط السور وذلك بصب الماء عليها .
٣- الانشقاق الذي حصل في صفوف الانكشارية مما اضطر خسرو باشا الى التخلي عن الحصار.
٤- الارهاق والتعب الذي اصاب الجيش العثماني وقلة المعونة والامدادات ساهمت في انهيار المعنويات لدى الجند العثمانيين.

هذه الاسباب مجتمعة التي كانت وراء فشل الحملة مما اضطر الباب العالي الى عزل خسرو باشا وتعين حافظ احمد باشا مرة ثانية كصدر اعظم فآثار ذلك حفيظة الانكشارية التي اطاحت بحافظ احمد باشا وتم قتلة وكادت ان اتعزل السلطان مراد الرابع من منصبه ، فصمم السلطان على قطع دابر الفوضى والقضاء على زعماء التمرد من قادة الانكشارية بمساعدة القادة المواليين للسلطان من الانكشارية ايضا ، فدبر مذبحة للمعارضين بعد دعاهم الى اجتماع في البسفور وارسل من تبقى منهم الى جبهات القتال البعيدة واصدر اوامره للتخلص منهم ، بعد هذه الاجراءات تمكن السلطان مراد الرابع من فرض سيطرته على الدولة لذلك عد المؤرخون ان سنة ١٦٣٢م هي بداية الحكم الفعلي للسلطان مراد الرابع .

حملة السلطان مراد الرابع لاستعادة بغداد:

كانت مسألة استعادة بغداد بالنسبة للسلطان امرا يحتل اهمية كبرى ، نتيجة لان سيطرة الصفويين على بغداد شجعهم على مد تحرشاتهم الى المناطق الشرقية من الاناضول ، فقبل التوجه الى بغداد قاد جيشه متوجها الى المناطق الشرقية لابعاد خطر الصفويين عن مدنها ، وما ان انتهى من ذلك حتى اصدر اوامره في مطلع عام ١٦٣٦م لاعداد حملة لاستعادة بغداد من ايدي الصفويين ، وبدأت الحملة من الاناضول وكلف الصدر الاعظم بيرم باشا بتوفير الذخير ومستلزمات النقل البري والنهري وتوفير مخازن للذخيرة والمؤن في ديار بكر والموصل بشكل خاص لانها واقعة بالمحور المؤدي الى بغداد لاسناد الحملة .

اكملت القوات العثمانية استعدادها في اوائل شباط / فبراير عام ١٦٣٨ ، ووضعت الخطة واختيار الطريق الذي ستسلكه الحملة وقسم الطريق الى ١٢٠ مرحلة يستغرق قطع كل مرحلة مدة ١٥ يوما وتتوقف للراحة في مناطق عدة ، كانت غاية السلطان من ذلك المحافظة على النظام والضبط لدى الجيش وعدم ارهاقه لحين الوصول الى الهدف ، تحركت الحملة من اسكودار في ٨ ايار / مايو عام ١٦٣٨ م وبعد ان قطعت عدة مراحل وصلت الى حلب في ١١ تموز / يوليو واستراحت مدة ٢٦ يوم وانضم الى قوات السلطان جيش من مصر بقيادة رضوان بك ، وصلت القوات العثمانية يوم ١٩ تموز الى بيره جك على نهر الفرات واقامت فيها خمسة ايام قبل ان تعبر نهر الفرات بعد بناء جسر من اربعين طوافة ، ومن ثم وصلت القوات الى ديار بكر في ١٤ ايلول سبتمبر والتحق بها والي الموصل طيار محمد باشا الذي عينه السلطان صدر اعظم بعد وفاة الصدر الاعظم بيرم باشا وهو مع الحملة وقبل التحرك الى الموصل جرى تنظيم السير بحيث تكون قوات امير الصحراء ابن ابي ريشة وباشوات حلب وطرابلس الشام في مقدمة الجيش وتتوجه الى بغداد كقوة استطلاعية ، دخل الجيش العثماني مدينة الموصل وعسكر فيها للراحة مدة عشرة ايام ، ثم تحرك الجيش الى بغداد ووصل الى طاش كوبري التي امضت فيه القوات يوما واحدا ، عبر الجيش العثماني بعقوبة وبهرز ووصل الى بغداد في ١٥ تشرين الثاني / نوفمبر ، وبدأ حصار المدينة خاصة من جهتها الشرقية اذ كانت الاستحكامات ضعيفة فيها لاعتقاد الصفويين ان الجيش العثماني سيهمل هذه الجهة كما فعل في الحملات السابقة ووزعت المدافع على جميع الجهات وكانت الغلبة للجيش العثماني وارسل السلطان قوة الى اطراف ديالى لتقطع طريق الامدادات الصفوية لحاميتها في بغداد ، ونتيجة لعجز القوات الصفوية من مساعدة حاميتها المحاصرة طلب الشاه صفي عقد الصلح مع الصدر الاعظم لكن السلطان رفض الصلح وفي يوم ٢٤ كانون الاول / ديسمبر عام ١٦٣٨م شن السلطان هجوما واسع بعد تهدم سورين من اسوار بغداد بفعل قصف المدفعية العثمانية ووصول القوات العثمانية الى المتاريس الامامية ، وتمكنت القوات العثمانية من السيطرة على كافة الابراج ودخول بغداد والسيطرة عليها يوم ٢٥ تشرين الثاني / نوفمبر بعد حصار دام اربعين يوما ، وتقدم الحاكم الصفوي بكتاش خان ليسلم نفسه للسلطان وطالبه بإخلاء القلعة والطلب من بقية العسكر باعلان استسلامهم، ووافق السلطان على منح الحامية الصفوية الامان وفق شرطين :

١- اخلاء بغداد من الصفويين في الحال

٢- وان المحاصرين مخيرين بين الالتحاق بالشاه او الانضمام للجيش العثماني

وبعد ان تمت السيطرة على بغداد صدرت الاوامر بالمحافظة على حياة السكان وعدم نهب ممتلكاتهم.

المفاوضات العثمانية – الصفوية وعقد معاهدة زهاب او معاهدة قصر شيرين ١٦٣٩م:

معاهدة زهاب (هي المعاهدة التي وقعت بين الدولة العثمانية والدولة الصفوية يوم ١٧ ايار / مايو ١٦٣٩ في منطقة قصر شيرين ونصت على ان تكون بغداد والبصرة والموصل وكردستان الغربية وشهرزور من نصيب الدولة العثمانية ، في حين تكون اذربيجان الشرقية وراوندوز وارمينيا الشرقية وبلاد الكرج من نصيب الدولة الصفوية وانهت المعاهدة حالة الحرب بين الدولتين التي استمرت ١٥ عاما)

في ١٥ اذار / مارس ١٦٣٩ وبالقرب من شهربان استقبل الصدر الاعظم وفدا ايرانيا برئاسة محمد قولي خان ولم يصل الطرفان الى اية نتيجة في هذه المفاوضات ، وفي ٢٣ نيسان / ابريل من نفس العام اجتمع الطرفان مجددا واثار الصدر الاعظم مسألة التحشدات الصفوية على الحدود الشرقية وسيطرتهم على بعض القلاع وعدها انها تشكل مصدر خطر على الدولة العثمانية وطلب الصدر الاعظم منهم الانسحاب من درتنك ودرنة واعترافهم بتبعية قلعة قارص للدولة العثمانية ، وفي ١٤ ايار/ مايو عام ١٦٣٩م وافق الشاه على المطالب العثمانية واستعداد بلاده لانهاء الخلافات بين الدولتين .

بعد مناقشات طويلة وافق الطرفان على معظم نقاط الخلاف واهمها مشكلة الحدود بين الدولتين وفي ١٧ ايار / مايو وقع الطرفان على محضر الاتفاق الذي كان باللغتين الفارسية والتركية وصادق الشاه صفي على الاتفاق في ٢١ ايار / مايو وصادق السلطان مراد الرابع على الاتفاق في ٣ حزيران / يونيو ، ونصت على ان تكون بغداد والبصرة والموصل وكرستان الغربية وشهرزور من نصيب الدولة العثمانية ، في حين اصبحت اذربيجان الشرقية وراوندوز وارمينيا الشرقية وبلاد الكرج من نصيب الدولة الصفوية .

اهم النقاط التي اتسمت بها المعاهدة :

١- اتسمت بانها حددت مناطق الحدود من الشمال الى الجنوب على عكس المعاهدات السابقة التي اقتصرت على تحديد اجزاء معينة ولم تعطي تلك المعاهدات تعريف واضح للحدود بين الدولتين

٢- المعاهدة اخذت بنظر الاعتبار العامل الطبيعي في ترسيم الحدود

٣- شطرت المعاهدة بعض العشائر الكردية مثل عشيرة الجاف الى قسمين بحيث بقى قسما منها تابعا للدولة الصفوية والقسم الاخر تابع للدولة العثمانية ، مما ادى الى تبقى هذه العشيرة مصدر قلق لكلا الدولتين.

٤- اهملت هذه المعاهدة الاشارة الى الحدود الطبيعية في جنوب العراق وبوجه خاص منطقة عربستان التي اصبحت فيما بعد من المناطق المتنازع عليها بين الدولتين.

٥- اوجدت المعاهدة نوعا من الهدوء والاستقرار بين الدولتين استمر حتى بداية القرن الثامن عشر

٦- فرط العثمانيون بأراضي عراقية عندما تنازلوا عن مهران للدولة الصفوية رغم انها كانت تابعة لولاية شهرزور .